جامعة دمياط
كليةالآداب قسم التاريخ
التاريخ الحديث و المعاصر

دوافع وخطوات الاحتلال الإيطالى لليبيا

إعداد الباحثة
نسرين نعمان البيومى عويضة

١٤٣٦هـ/٢٠١٥م

دوافع وخطوات الإحتلال الإيطالى لليبيا

المبحث الأول : البيئة الإيطالية الداخلية أولا : الحركة القومية وتحقيق الوحدة

بدأت إيطاليا تتطلع إلى الوحدة القومية بعد أن كانت عوامل التفكك تتقلب على عوامل الترابط و الاندماج في إيطاليا بسبب الأحوال الاجتماعية و السياسية السائدة في شبه الجزيرة ، وكانت إيطاليا مقسمة بعد تسوية فينا عام ١٨١٥ م إلى سبع دول وهى مملكة الصقليين – بيدمونت– سيردينيا –لمبارديا–فنيسيا– والولايات البابوية (بارما – مودنيا–تسكانيا) [١]، وكان النظام السياسي في إيطاليا يمتاز بالتجزئة المفرطة ، وكان روح المنازعات والروح البلدية عند الإيطاليين أكثر مما كان عندهم من روح قومي ، فكان يقول مترنيخ " إن إيطاليا كتلة دول مستقلة تجمعت تحت تعبير جغرافي واحد " [٢]عندما سعت إيطاليا إلى تحقيق الوحدة عاقتها عدة صعوبات تمثلت في :

١. السيطرة النمساوية والأساليب التي اتبعتها النمسا في الحكم في إيطاليا .

٢. لم تكن هناك حياة اقتصادية مشتركة ، فكان بكل جهة سوقها الخاص بها وضرائب جمركية لحماية المصالح المحلية ، لم تكن لإيطاليا عملة مشتركة ،أو موازين ومقاييس .

٣. لم يكن لدى إيطاليا ما تصدره إلى الخارج سوى الحرير الخام من الشمال ، وزيت الزيتون من جنوة

٤. كان للحياه الاجتماعية أثر في التفكك والعزلة الإقليمية في إيطاليا ، فكان حوالي ٦٠٪ على الأقل من الإيطاليين يعملون في الزراعة ، ولم تزد نسبة العمال الصناعيين على ١٥٪ من عدد السكان في إيطاليا ، ولذلك لم يستطيعوا تحقيق مكاسب إلا بعد ١٨٣٠م على يد جمعية إيطاليا الفتاة [٣] .

٥. لا توجد داخل إيطاليا قوة عسكريه قادرة على التغلب على الجيوش النمساوية ، وأن الحماس مفيد في إثارة الشغب ضد الإمبراطورية ولكنه ليس قادرا على طردهم من إيطاليا حتى تتم الوحدة .

٦. أن تعدد المذاهب والمخططات مسؤول عن عدم وحدة النضال الوطني من أجل الوحدة في إيطاليا

٧. التناقضات كانت تملأ الزعماء فماتزيني جمهوري يؤمن بالله والشعب والدستور ، أما غاريبالدني كان جندي يريد لإيطاليا تحررا بالسيف ، وشارل ألبرت ملك دستوري ، أما الذي كسب شعبه بصفته الدينية

---

(١) نور الدين حاطوم :يقظة القومية الأوروبية –ط٢–دار الفكر–لبنان–١٩٧٩– ص١٣١،١٢٩

(٢) عمر عبد العزيز عمر : أوروبا ١٩١٩ –دار المعرفة–السويس–٢٠٠٠ – ص ١٧٢،١٧١

(٣) عمر عبد العزيز عمر : مرجع سابق – ص ١٧٥ ، ١٧٦

و تشريعاته الإصلاحية بيوس التاسع كان الاختلاف بين الآراء للقادة والزعماء الذين نادوا بالوحدة عقبة كبيرة ولكنهم سرعان ما تغلبوا عليها،لا بد لتلك العناصر أن تتجه إلى العمل السري وتكوين الجمعيات في الخفاء ، وفي مقدمتها(جمعيةالكاربوناري) ؛ ثم انتشر في باقي إيطاليا خاصة تلك المناطق التي تخضع مباشرة للنمسا ، والولايات الباباوية ، وكان الهدف الرئيسي هو طرد النمسا وعملائها من شبه الجزيرة ، وتوحيد إيطاليا وإقامة حكومة دستورية فيها [١]، ومن الجمعيات الأخرى التي ظهرت في شبه الجزيرة الإيطالية (جمعية راجي) في بولونا وجمعية شنتريا في مانودا ، تلك الجمعيات زاولت نشاطها سرا ، لكل منها أهدافها ولكنها اتفقت كلها على مقاومة السلطات الحكومية [٢]،ولم تستطع أن تقوم بعمل جماعي قوي في كل إيطاليا لكنها قادت ثورتين هامتين واحدة في ١٨٣٠ م وشجع عليها الأسبان والثانية ١٨٣١ م ، وقد ترتب على الثورة الأولى وصول لويس فيليب الى العرش برغبة الشعب[٣]

حركة ماتزيني : يوسف ماتزنى في في مرسيليا عام ١٨٣١ م ، وقد لمع اسمه منذ عام ١٨٣٨ م في عدة مقالات في دليل الجنوة تعرض فيها للأوضاع السياسية في إيطاليا ، حين قامت الثورات في إيطاليا ١٨٣٠ م اتهم باشتراكه مع جمعيات الكربوناي في إثارة الجماهير ،وفى مرسيليا وهناك أسس جمعية إيطاليا الفتاة التي انضم إليها عدد كبير من الكتاب والأدباء من بينهم غريبالدي [٤]، كان ماتزيني فيلسوفاً مؤمنا بوحدة الجنس البشري ، ورأى أن الدور الإيطالي عليه أن يوجه ضربة قاضية إلى عنصري الرجعية حين ذاك إلا وهما الحكم الباباوي نموذج العصور الوسطى السيئ في ولاياته ،والإمبراطورية النمساوية العنيفة أمام تحقيق مبدأ القوميات . [٥]

حركة المعتدلين (جيوبرتي – دازجيليو) . رأت هذه الحركة وأصحابها أنه يمكن تحقيق أهداف الوحدة والقومية دون اللجوء للعنف والثورة ، ومن أبرز الرجال في هذه الحركة والذين حملوا تلك الأفكار (جيوبرتي – دازجيليو) ، كان الأول رجل دين في بيدمونت ، نادى بأن تسود المحبة بين جميع الناس

---

(١) شوقى عطا الله الجمل : المغرب العربى الكبير –ص١٨٤

(٢) عمر عبد العزيز عمر: مرجع سابق –ص١٧٧

(٣) نفسه –ص ١٧٩

(٤) شوقى الجمل : مرجع سابق –ص١٨٥

(٥) عبد الفتاح حسن أبو علية : تاريخ أوربا الحديث والمعاصر –ط٢–دار المريخ – الرياض –١٩٩٣– ص ٢٩٥

وأصدر في عام ١٨٤٣ م كتاباً بعنوان "زعامة الإيطاليين الخلقية والمدنية" ، أما الثاني (دازجيليو) ، تأثر بالأفكار التقدمية وهاجم السياسة الكنسية وكشف عن الفوضى والفساد، وطالب من الناس أن يتخلوا عن الثورات المحلية أن يتجهوا صوب القوة الوحيدة التي تستطيع أن تحقق وحدة إيطاليا وهي دولة بيدمونت [١]

حركة الألبرتيين . تنسب هذه الحركة إلى شارل ألبرت أمير بيدمونت ، تكون حزب الألبرتيين من أنصاره وظهر هذا الحزب كقوة لها وزنها في قيادة الحركة القومية في إيطاليا ولأهمية أهدافه تجمع زعماء الأحزاب الأخرى حوله لمحاولة التوفيق بين حركاتهم القومية في إيطاليا ، فماتزيني دعى الألبرتيين للتخلي عن فكرة الاتحاد الكنفدرالي على أن يتخلى هو وأنصاره عن المناداة بالجمهورية [٢] ، كان" شارل ألبرت" يأمل في أن تتحد قوة إيطاليا كلها لطرد الأجانب ، اطلق عليه ملك التردد ووصفت سياسته بسياسة التذبذب والتاريخ بصفة عامة يعرفه باسم " هامليت سافوي " [٣]

بيدمونت تتزعم الحركة . كانت ١٨٤٨ م سنه فاصلة في تاريخ الوحدة الإيطالية ، فبعد الثورة الفرنسية قامت الثورة في لمبارديا ضد النمسا وأجبروا الحامية العثمانية بميلان على الجلاء ، وصارت البندقية على هذا النهج فطردوا المواطنين النمساويين ، وأعلنوا قيام الجمهورية وانتشرت الثورة في جميع مقاطعات إيطاليا وشجع ألبرت على إعلان الحرب على النمسا، وكان من المقومات التى دفعت إلى زعامة بيدمونت للوحدة

١. شارل ألبرت لم يكن يميل للثوريين ، يفضل أن يحكم إيطاليا كمستبد وأن يقوم بالوحدة دون معاونة القوميين والتحرريين .

٢. كان فى مملكة بيدمونت صحافة قومية لها قوتها تتمتع بالحرية و تؤمن بالوحدة .

٣. كان كافور رئيسا لجريدة البعث ، ومؤمننا بالوحدة أكثر من نظرائه من الزعماء حين ذاك.

ولقد انقسمت إيطاليا إلى وحدتين عظيمتين من القوى المتصارعة ، الأولى قوة النمسا المحايدة لحركات التحرر والوحدة ، والثانية قوة الثوار فى جميع أجزاء إيطاليا وتؤيدها قوة مملكة سريدنيا ،

---

(١) شوقي الجمل : مرجع سابق – ص ١٨٦

(٢) شوقى الجمل : مرجع سابق – ص ١٨٧

(٣) عمرعبد العزيز عمر : مرجع سابق – ص ١٩٧-٢٠٣

وكان السلاح هو الحل للوصول إلى الحرية ، ولكن النمسا لم تكن لترضى بالهزيمة [١]، وقامت الحرب و انتصرت النمسا، وانسحب شارل ألبرت فى ٢٥ يوليو ١٨٤٨م إلى ميلان ، واتهموه بخيانة القضية ، ودخل النمساويون إلى ميلان ، وسمحوا" لشارل ألبرت" بالانسحاب بجنوده إلى ما وراء الحدود ، وأعلن ما تزينى أن الحرب الملكية انتهت إلا أنه آن الأوان أن تبدأ حرب الشعب ، ورفع كتابا عليه "الله والشعب" ، أما غاريبالدى فقد ذهب إلى الجبال ليقوم بحرب العصابات ليواصل القتال ، وسادت بإيطاليا فترة من التنكيل والاعتقال ، والحكم الرجعى ، أعلنت الهدنة بين الطرفين المتحاربين ورفضت سردينيا الصلح ، واستأنف القتال إلى أن قامت معركة نوفارا ٢٣ مارس ١٨٤٩م وانهزم" شارل ألبرت" وتنازل لابنه " فيكتور عمانويل " عن الحكم [٢] ، و انتهى عهد الثورة فى تاريخ الحركة القومية الإيطالية .

تحقيق الوحدة الإيطالية بعدما تولى فكتور الحكم سعى المحاطون به إلى تهيئته ودفعه إلى سحب الدستور والحكم المستبد إلى أن قال ((لسوف أرفع العلم المثلث الألوان عاليا وبيد ثابتة)) ، وعاونه رئيس وزرائه كافور الذى نجح فى توحيد حزبى اليسار المعتدل والوسط اليمينى ، كانت غايته وحدة إيطاليا ، عقد معاهدة سرية مع الإمبراطور نابليون الثالث فى ١٨٥٨م اتفق فيها على : ضم لمبارديا والبندقية إلى بيدمنت ، وضم سافواى ونيس إلى فرنسا ، وأن تبقى الولايات الوسطى وأملاك البابا مستقلة ، وأن يتكون اتحاد من كل الولايات تحت زعامة البابا ، واذا ابتدأت النمسا بالعدوان على بيدمونت تتعاون فرنسا مع إيطاليا فى صد هذا العدوان ، وبعد هذه الاتفاقية عمد فكتور إلى إثارة غضب النمسا ودفعها إلى مهاجمة بيدمونت حتى تتدخل فرنسا [٣] ، ولأن بيدمونت ولاية صغيرة لا يستطيع أن يصل صوتها إلى المستوى الدولى فرأى كافور أنه لابد أن ترتفع إلى المستوى فقرر إدخالها فى حرب القرم معتبرا ذلك فرصة لتحقيق أهدافه [٤] ، وبالفعل تحققت الوحدة الإيطالية وتكونت إيطاليا الجديدة باستثناء الممتلكات البابوية ومملكة نابولى والبندقية وكان على كافور أن يضمهم حتى تتحقق الوحدة كاملة ، وجهز

---

(١) عمر عبد العزيز عمر : مرجع سابق – ص ٢٠٨،٢٠٩

(٢) شوقى الجمل : مرجع سابق – ص ١٨٨،١٨٩

(٣) دخلت فرنسا فى حرب ضد النمسا ورغم الانتصارات إلا أن نابليون عقد صلحا (صلح زيورخ) ١٨٥٩م ،والذى تقرر فيه أن تحتفظ بيدمونت بلمبارديا ، وأن تحتفظ النمسا بالبندقية ، وأن يقوم اتحاد فى إيطاليا بزعامة البابا ، ويعود للدوقيات الإيطالية الشمالية حكمها السابق ، ولقد قبل فكتور هذا الصلح واعتبره خطوة فى طريق الوحدة و لكن الوطنين ثاروا و رفضوا و أعلنوا رفضهم للحكم الاستبدادى، و انضموا إلى بيدمونت (عبد الفتاح أبو علية : تاريخ أوربا – ص ٣٠٧)

(٤) عمر عبد العزيز عمر : مرجع سابق – ص ٢٢٠-٢٢٢

غاريبالدى قواته "ذوى القمصان الحمراء" وعبر بهم إلى نابولى واستولى عليها [١] أما الممتلكات البابوية فقامت عليها حركات شعبية طالبت بالوحدة ، وحاول البابا إخماد تلك الثورة ولكن فكتور تصدى له وانضمت الممتلكات البابوية ونابولى إلى الوحدة بعد استفتاء الأهالى ، ولقب فكتور بملك إيطاليا ، وفى ١٨٦٦م ضمت البندقية بعد الحرب النمساوية الروسية ، أما روما فضمت بعد الحرب الفرنسية البروسية ، ومن ثم طبق النظام الإيطالى المركزى على الولايات وصارت روما العاصمة ولم يتبق سوى مناطق قليلة متفرقة فى الشمال محل نزاع بين النمسا و إيطاليا " التيرول " و قد ضمتها إيطاليا بعد الحرب العالمية الأولى [٢]

مشكلات ما بعد الوحدة : توالت الحكومات على إيطاليا بعد الوحدة وعملت على حل المشكلات التى كانت تواجهها إيطاليا والتى من أهمها : أ . المشكلات الاجتماعية : الازدهار النسبى للاقتصاد فى بعض المناطق وسوء الأحوال الاجتماعية للطبقة الفقيرة كان مناخا ملائما لظهور التيارات المعارضة [٣] ، بالإضافة إلى كثرة العاطلين و انتشار الجماعات السرية من قطاع الطرق ومرتكبى جرائم القتل السرقة مثل عصابات المافيا فى صقلية ، كما لجأ عدد كبير من الإيطاليين إلى الهجرة إلى أوروبا للبحث عن العمل أو أمريكا التى كانت بحاجة إلى الأيدى العاملة .

ب. المشكلات الاقتصادية : كان على إيطاليا تدبير ما تحتاجه من مشروعات الإدارة والدفاع القومى ، وتسهيل المواصلات فى أرجاء الدولة ، والتعليم و.... وغيرها ولكن إيطاليا بلد زراعى موارد لا تستطيع أن تأخذ بيدها إلى النهوض ، وليس لديها إلا القليل من الفحم ولا حديد لديها تقوم عليه صناعتها [٤] ، وكان رأس المال الشحيح فى إيطاليا رأسمال لسياستها التجارية والنقدية والمالية والسياسية والصناعية ، ومع بداية الوحدة الإيطالية ١٨٦١م واجهت إيطاليا منافسات دولية وخاصة فى الحبوب وزيت الزيتون والحمضيات [٥] ، وهى كلها لها أهمية فى اقتصاد إيطاليا ، فكان لابد من النهوض بها والوقوف فى وجه الحكومة البابوية لتحقيق الوحدة السياسية .

---

(١) عمر عبد العزيز عمر : مرجع سابق –ص ٢٢٣

(٢) شوقى الجمل : مرجع سابق – ص ١٩٠

(٣) عبد المنصف حافظ البورى : الغزو الايطالى لليبيا دراسة فى العلاقات الدولية – ص ٦٠

(٤) شوقى عطا الله الجمل : مرجع سابق – ص ١٩٢

(٥) عبد الفتاح أبو علية: مرجع سابق – ص ٣٠١

ج. مشكلات الحكومة مع البابوية : كان للبابوية نفوذها الدينى ، وعارضت منذ البداية قيام الوحدة وكان لابد لها من حسم أمرها ، فأصدر البرلمان الإيطالى تشريعا يرسم العلاقة بين البابوية والحكومة المدنية الجديدة فى ١٨٧١م ، وفى هذا التشريع خصص للبابا مكانا فى روما بضم مجموعة من الكنائس الحديثة والبابوية أطلق عليه اسم الفاتيكان ، وللبابا السيادة الكاملة عليه ،إلى جانب صلاحيات أخرى كحقوق استخدام السكك الحديدية والخدمات البريدية والسلكية واللاسلكية [١] ، ولكن البابا بيوس التاسع رفض ، ولكن فى ١٩٢٩م فى عهد موسولينى اتفقتا الحكومة والفاتكان على هذا التشريع [٢] ، كانت الحكومات الإيطالية متناقضة وامتد هذا التناقض الى البرلمانيين والسياسيين ، ومن الواضح أن التنافس بين الساسة كان قائما على الخلاف الشخصى للوصول أو البقاء فى السلطة فكان ذلك سببا فى مزيد من التوترات دفعتهم إلى البحث عن أماكن استعمارية لتشغل أنظار الشعب عن المشاكل الداخلية ، واتبع كل منهم طرقه الخاصة فى السعى الاستعمارى فموسولينى تميز بتطرف شخصيته وصراعه من البقاء فى السلطة وقسوته فى معالجة الشؤون الداخلية وخاصة مع المعارضين ، وكذلك "كريسبى" الذى حارب خصومه الاشتراكيين ، وسجن الكثير من معارضيه [٣]

وهكذا هيأت الظروف الداخلية التى عاشت فيها إيطاليا ساستها وزعمائها ، بل وشعبها إلى فكرة الامتداد والغزو والتوسع متخذة تلك المشاكل حجة للبحث عن حلول لها فوجدت ذلك فى الاحتلال ،واعترض عليه عدد كبير من أعضاء البرلمان و الرأي العام للظروف التي كانت تمر بها إيطاليا آنذاك ، ولكن كان الدستور الإيطالي يعطي المزيد من الصلاحيات ويدعم قدرة الحكومة على اتخاذ القرارات الهامة دون الرجوع إلى البرلمان فالمادة الخامسة من الدستور كانت تعفي التاج من أشعار المجلس بإعلان الحرب وعقد معاهدات الصلح والتحالف إذا كانت مصلحة الدولة لا تسمح بذلك ، ففي ٢٣ نوفمبر ١٩١٢ م دعى المجلس للموافقة على المرسوم الملكي الصادر في ٥ نوفمبر ١٩١١ والخاص بإعلان السيادة على ولاية طرابلس ، هكذا كان اتخاذ قرار الغزو لم يكن ممكنا إلا في ظل ظهور القيادة السياسية التي تؤمن بفكرة الاستعمار وتدعو لها وتؤمن بالعنصرية ، وفي حالة عدم الاستقرار السياسي من جهة والمشكلات الداخلية التي أعقبت الوحدة الإيطالية من جهة ثانية سواءً كانت تلك المتعلقة بتخلف الجنوب أو التفاوت بين الشمال والجنوب أو بين طبقات الشعب الإيطالي عموماً ، أو حتى تلك المتعلقة بالحياة الاقتصادية

---

(١) شوقى عطا الله الجمل : مرجع سابق– ص١٩٣

(٢) حسن أبو علية : مرجع سابق – ص ٣٠٣

(٣) عبد المنصف البورى : مرجع سابق – ص ٧٧،٧٨

أو بين طبقات الشعب الإيطالي عموما ، أو حتى تلك المتعلقة بالحياة الاقتصادية والمترتبة على النمو الصناعي أو الأزمات الاقتصادية ولذلك كان الحل لأغلب الوزارات التي عملت هو الغزو الاستعماري.

المشكلات الداخلية التي دفعت إيطاليا نحو احتلال ليبيا :

أولاً: الأوضاع الاقتصادية : وجد رجال الاقتصاد الإيطاليون في احتلال ليبيا حلاً لمشكلتيها الرئيسيتين ألا وهما استثمار رؤوس الأموال ، وازدحام السكان ، فلقد كانت المدن الإيطالية لا ترتبط ببعضها بل كانت كل منها مستقلة عن الأخرى فى إنتاجها الزراعى والصناعى ، ونتيجة ضعف الموارد المالية و الأزمات الاقتصادية المتعددة واجهت إيطاليا صعوبات كبيرة بعد الوحدة .[١] كان الفارق فى الإنتاج بين المدن الإيطالية كبير ، ففى الشمال (ميلانو ،تورينو ، جنوا) تحولت من مدن زراعية إلى صناعية زراعية تسعى للحاق بالدول الأوروبية التى سبقتها ، وهذا التطور الاقتصادى انعكس على التطور التجارى [٢] ، وفى عام ١٨٩٠ م شهدت إيطاليا فترة الإنتاج الكبير ونشطت الصناعة والتجارة والزراعة وشملت أيضا النقل والسياحة مما نتج عنه تمركز فى رأس المال خاصة فى الصناعات الكبيرة وأهمها صناعة المكانات و الغزل و النسيج و الفلزات و التعدين وغيرها من الصناعات الصغيرة ، وسيطرت المصارف على اقتصاد إيطاليا بواسطة الشركات المساهمة مثل بنك "كومر تشيالى إيطاليانو" ، و" كريدتيو إيطالينو" ، ولضعف مركز إيطاليا فى السوق العالمى كان لابد لها من أن تفتح أسواقا خارجية لتصريف منتجاتها ولتقوية مركزها بين الدول الأوروبية ، فلقد شغلت إيطاليا فى استخراج خامات الحديد المركز الثانى عشر فى الفترة ١٩٠٦م إلى ١٩١٠م ، وفى إنتاج الفحم المركز الثامن عشر ، وفى إنتاج الزهر المركز الحادى عشر ، والمركز التاسع فى إنتاج السكر وصناعة الأقطان ، في حين أنها لم تملك الكثير من الأوراق المالية فى سنة ١٩١٠م بالمقارنة مع روسيا وإنجلترا وفرنسا فلم يكن لديها إلا ١٤ مليار فرنك فرنسى [٣] ، ولذا كان لابد لها من أن تسعى جاهدة بكل الطرق لتأخذ مكانها فى السوق العالمى بفتح أسواق جديدة ، ولن يكون إلا بامتلاك مستعمرات ولم يكن هذا ممكنا إلا بموافقة الدول الاستعمارية الكبرى ، وفى ليبيا التى كانت ترمى إيطاليا إلى استعمارها وتنظر إليها على أنها السوق الذى سوف

---

(١) عبد المنصف حافظ البورى : مرجع سابق ص– ٧٤ ،٤٨

(٢) ارتفعت الصادرات والواردات من ٢٦٠٠ مليون ليرة من عام ١٨٩٦م إلى ١٩٠٠م إلى نحو ٥٩٠٠ مليون ليرة إيطالية فى ١٩١٠م ارتفعت إلى ٣ أضعاف هذه القيمة ، ورغم استمرار الميزان التجارى فى حالة عجز بسبب الحاجة إلى المواد الأولية اللازمة للصناعة ، وسد احتياجات السكان من الغذاء (البورى : مرجع سابق – ص ٤٨،٥٠، ١٢١)

(3) Raza seubma –italin glonistion : p. 9

يأخذ بها إلى مجال المنافسة الأوروبية ،ولذا اعتمدت على أسلوب التدرج والاختراق الاقتصادى فى ليبيا منذ ١٨٠٠م حيث كانت تشجع رجال الأعمال الإيطاليين على شراء المصالح التجارية والتصنيع والسيطرة على خطوط الشحن الليبية ، كما سيطروا على تصدير العاج والصوف والإسفنج ، كل هذا عن طريق البنك الإيطالى الذى أسس فى ليبيا ١٩٠٥م و أصدر إليه أمراَ باختراق البلاد اقتصاديا ، ولذا كان التجار الإيطاليون وأصحاب رؤوس الأموال من أكثر المؤيدين لغزو ليبيا واحتلالها وعلى رأس هؤلاء "باتشيلى" رئيس بنك روما ، و" كونترايتينى" رئيس الديوان الملكى الإيطالى ، و" ليتونى" السفير الإيطالى بباريس آنذاك ، شجع تلك القوى وساندها أصحاب الأموال والصناعيون على الغزو ،كما كانت الكتلة اليمينية بالبرلمان الإيطالى والتى تعكس الفكر البرجوازى تشجع فكرة الغزو، وتناشد بها [١] ،هكذا دفع التطور التجارى والصناعى والزراعى فى إيطاليا بالقوى الاقتصادية لتلعب دورا مؤثرا يضغط على ساسة إيطاليا ويدفعهم لغزو ولاية طرابلس

ثانيا: الأوضاع الاجتماعية والتطور الديموغرافى

كان الوضع الاجتماعى لإيطاليا متدهورا فقطاعات كبيرة من الشعب الإيطالى تعيش فى مستوى الفقر ،كما كانت الأمية منتشرة بنسبة كبيرة ، والأمراض والأوبئة متفشية ، وكل هذا سبب الاضطرابات فى السياسة الداخلية لإيطاليا ، وكان التباين واضحا بين شرائح المجتمع الإيطالى، ففى الشمال ووسط وإيطاليا كانت طبقة الصناعيين والماليين ، وطبقة كبار ملاك الأراضى فى الجنوب وبعض مناطق إيطاليا الأخرى ، الأحياء الفقيرة مساكنها غير صحية ومزدحمة ، لم يكن هناك قوانين تنظم العمل بين العمال وأصحاب العمل ، فانتشر الظلم والاستغلال العمال وسوء المعاملة ، وازدياد ساعات العمل ، كما زاحمت النساء الرجال فى العمل لضعف الأجور وفقر الحال ، ونتج عن كل هذا زيادة الإضرابات العمالية وخاصة فى المدن خاصة (ميلانو) ، ولقد وصلت إلى الاشتباكات بين العمال والأهالى من جانب والشرطة والجيش من جانب آخر ، وفى القطاع الزراعى بقيت الحقيقة السائدة هى فقر الفلاح الإيطالى فكبار الملاك يملكون الإقطاعيات والفلاحين إجراء فيها ونتيجة للقهر والظلم لهؤلاء الفلاحين صار الاستيلاء على الأراضى غير المزروعة وثار الفلاحون على كبار الملاك ، وتدخلت الحكومة لمساندة كبار الملاك فزادت العداوة ،والفلاحون الذين امتلكوا مساحات صغيرة لم ينتفعوا بها بسبب الضرائب العالية . لم يكن لتلك الطبقات الفقيرة مطالب سوى تحسين مستوى المعيشة وهؤلاء هم الذين

---

(١) البورى : مرجع سابق – ص ٥٨،٥٧

وقعوا تحت تضليل الدعاية الاستعمارية التى رسمت لهم الأحلام فى أرض ليبيا ، والتى كان يروجها كبار الملاك والرأسماليون الذين كانوا يبحثون عن أسواق خارجية لتسويق منتجاتهم أو الحصول على المواد الخام .هكذا روجت فكرة حل مشكلات إيطاليا الاجتماعية والاقتصادية فى وجود مستعمرة قريبة تمثل امتدادا لإيطاليا

التطور الديموغرافى :- أثر تطور السكان فى اتجاه سياسة إيطاليا الخارجية والتى نظرت الى حل المشكلة السكانية سوف ينتهى باستيلائها على المستعمرات مما دفعها لتلك الخطوة ، المشكلة السكانية لم تظهر إلا بعد الوحدة فارتفع عدد سكان إيطاليا بنسبة كبيرة لارتفاع المواليد وانخفاض الوفيات فزاد بمعدل مليونى نسمة تقريبا كل عشر سنوات [١] ، وهذا العدد لم يكن للقطاعين الصناعى والزراعى أن تستوعبه ، ولذا كانت الزيادة السكانية إحدى الحجج التى استندت عليها القوى الإيطالية فى فكرة الاستعمار وهاجرت أعداد كبيرة وكان أغلبهم من الذكور ما بين العشرين والخمسين ، فكان له الأثر على قوى الإنتاج فى إيطاليا ففى عام ١٩٠٠م بلغت أعداد المهاجرين ١٦٦.٥٠٣ مهاجر فى عام ١٩٠٠م ، وفى الفترة ما بين ١٩٠٦مو١٩١٠م وصلت أعداد الهجرة إلى ٦٥١الف مهاجر معظمها إلى الأرجنتين والولايات المتحدة الأمريكية [٢]

لماذا تأخر احتلال إيطاليا لليبيا : توحدت إيطاليا فى ١٨٦٠م وكان هذا وقتا متأخرا فى السباق الاستعمارى بالنسبة لإيطاليا ، وكانت المشكلات الداخلية وضعف إمكانياتها سببا فى تأخرها الاستعمارى أيضا ، وإيطاليا قبل وحدتها كانت تأمل فى التوسع الخارجى سواء فى أوروبا أو إفريقيا أو بعض جزر المتوسط ،أو الأطراف الشمالية لإفريقيا ، تواجد للإيطاليون فى حوض البحر المتوسط منذ القدم ، فلم تنقطع صلة إيطاليا بشمال إفريقيا [٣] ، وحينما اتجهت أنظار الدول الاستعمارية إلى الشمال الإفريقى كانت إيطاليا تتطلع هى الأخرى أى نصيبها من تلك الكعكة ، ولذا اعتبرت احتلال فرنسا لتونس فى عام

---

(١) فلقد زاد عدد السكان فى إيطاليا من ٢٦.٨ مليون نسمة فى عام ١٨٧١ م إلى ٢٩.٦ مليون نسمة من نفس العام ، وفى ١٨٩٠م وصل إلى ٣١.٧مليون نسمة ثم إلى ٣٣.٩ ملين نسمة فى ١٩٠٠م ، و٣٦.٢ مليون نسمة فى عام ١٩١٠م (عبد المنصف حافظ البورى : مرجع سابق – ص ٦٦)

(٢) عبد المنصف البورى : مرجع سابق – ص٦٧

(٣) تواجد الإيطاليون فى المغرب العربى فى حوض البحر المتوسط منذ ١١٣٧م فى عهد الموحدين ولمدة ١٥يوم ، وكانت علاقتهم بالمغاربة جيدة ، وسيطروا لى طرق تجارة السودان ، مما جعلهم يحولون عملتهم من الفضية إلى الذهبية (انظر محمد أحمد دار :دور بعض المدن الإيطالية فى الصراع العثمانى –ص٢٦،٢٥)

١٨٨١م ضربة قوية لمصالحها فى البحر المتوسط وخيبة أمل لأحلامها فى المنطقة مما ترتب عليه احتلالها الصومال الإيطالى وأثيوبيا وأرتريا ولكن لماذا تأخر اتجاه أطماعها الاستعمارية نحو ليبيا؟

١. لأن إيطاليا كانت تسعى أولا للتمهيد لرغباتها الاستعمارية وسط الدول الأوروبية الكبرى والحصول على موافقتهم حتى تتفادى العقبات التى يمكن أن تواجهها فى احتلالها ليبيا .

٢. اتساع الصحراء الليبية وكونها فقيرة الإمكانيات قليلة الجاذبية للطامعين الاستعمارين ، ولهذا تعتبر ليبيا آخر الدول العربية فى الاستعمار الغربى .

٣. ربما كان إرسال الدولة العثمانية تعزيزات إلى ليبيا بعد احتلال فرنسا لتونس سببا فى تمهل إيطاليا فى التقدم نحو ليبيا حتى لا تصطدم بالدولة العثمانية

٤. لعل ظروف مصر التى كانت تمر بها فى تلك الفترة وأملاكها فى السودان وعلى سواحل البحر الأحمر كان سببا فى اتجاه الاستعمار الإيطالى إلى ليبيا وقد شجعتها إنجلترا على ذلك.

٥. كانت إيطاليا تطمع فى استعمار تونس فى البداية لقربها الشديد منها ، وقد أدى هذا التقارب منذ القدم إلى وجود علاقات اقتصادية وسياسية هامة بينهما ، ولكن احتلال فرنسا لتونس خلق العداء بين إيطاليا وفرنسا لدرجة دفعت إيطاليا للتحالف مع النمسا وتنسى عدائها معها .

– الأسباب التى دفعت إيطاليا لغزو ليبيا بالتحديد؟

١. لطالما اعتقد الإيطاليون أن البحر المتوسط لابد أن يكون بحيرة إيطالية خالصة ، ولعل تصريحات الأعضاء والزعماء يؤكد هذه الحقيقة [١] ، ومنهم النائب "مارسيللى " الذى رأى أن انتصاراتهم فى البحر المتوسط ستتحسن من وضع إيطاليا فى البحر الأحمر ، والنائب " قويشارديني " الذى نادى بضرورة موافقة الدول الأوروبية على الزحف الإيطالى نحو طرابلس [٢]

---

(١) فكريسبى يقول فى جلسة البرلمان المعقودة فى ٢٠ يناير ١٨٨٥م ((أنا أعتقد أنه يجب أن يكون فى البحر المتوسط مكان للجميع ، أن المسألة ليست استعمارية، ولكنها سياسية وعسكرية ، أننا لا نسمح بأن يحتل الذين يمكن أن يصبحوا أعداء لنا نقاطا معينة فى حوض البحر الأبيض المتوسط)) وهكذا نادى أيضا الساسة الإيطاليين لسنوات طويلة للامتداد فى البحر المتوسط ، وكذلك نادى "دى رينزيس" فى جلسة ٢٥ يناير من نفس العام يقول((إن البحر الأبيض المتوسط هو هدفنا ، ويجب أن تقدم إليه عناية الإيطاليين.....وفيه يجب أن نبحث عن منفذ للتوسع السياسى والزراعى ، أن البحر المتوسط أصبح بالنسبة لنا عامل ضعف ويجب أن نبذل جهدنا لنغيره بحيث يصبح عامل قوة لنا)) البورى : مرجع سابق– ص ٨٥

(١) عبد المنصف حافظ : مرجع سابق – ص ٨٧

٢. نظرت إيطاليا إلى ليبيا على أنها حلا لمشكلة ازدحام السكان فيها ، ولذا سعت إلى تحويل ليبيا إلى قطعة من إيطاليا مستغلة فى ذلك البعد الجغرافى ، والبيئة الطبيعية وتشابه المناخ فدرجة الحرارة فى بنغازى لا تختلف كثيرا عنها فى نابولى .

٣. رمت إيطاليا فى المقام الأول إلى تهجير المواطنين الإيطاليين إلى ليبيا ، بل وخلق مجتمع متماسك متكامل من الإيطاليون فى الأراضى الليبية ، فنقلت قرى بأكملها سكانا إلى ليبيا ، وكان الاستعمار الإيطالى فى آخر أيامه قد استولى على كل المساحة الخصبة من أرض ليبيا وطرد أصحابها منها ، وتولت تلك الأعمال شركة "الأنتى" ، فاستولى الإيطاليون على الجبل الأخضر الذى هو قلب برقة الزراعى ونقل سكانه إلى البنطان شرق برقة و مرمريقا ، وغربا فى برقة الحمراء لدرجة أنه تم تحديد المنطقة التى لا يسمح لهم بالحركة خارجها[١]

٤. ساعد كبر مساحة ليبيا ، وضعف الدولة العثمانية الحربى والبحرى ، وعجزها عن صد أى عدوان على ولاياتها على تشجيع إيطاليا على احتلال ليبيا .

٥. بعد أن تمت إيطاليا وحدتها وعالجت مشكلاتها الداخلية ، وحاولت أن تلحق بالركب الاستعمارى ، كانت قد وجدت جيرانها الأوروبيون قد استولوا وتقاسموا أخصب أراضى القارتين .

٦. وجدت إيطاليا فى ليبيا حلا لمشكلة المسجونين من حيث عددهم الضخم ،فما أن كان لها إلا أن تجد (مستعمرات منفى) [٢] .

٧ . كان من أهم دوافع الاستعمار الإيطالى لليبيا هى مشكلة الفلاحين وسيطرة الطبقة الصناعية وهيمنتها على الدولة ، ومطالبة فلاحى الجنوب الإيطالى بامتلاك الأراضى وحقهم فى التصويت ، وثورتهم على كبار الملاك ، فكان على إيطاليا أن تجد حلا لتلك المشكلات وتشرك كبار الملاك مع الصناعيين ، لتخفيف حدة الضغط الاجتماعى للثوريين والفلاحين بتوطين الفلاحين فى المستعمرات .
كان إحساس إيطاليا بالنقص وسط الدول الأوروبية المستعمرة سببا جعلها تزج بنفسها فى مغامرات الاستعمار ولكن على أساس خاطئ فليبيا فى جملتها صحراء إمكانيتها الزراعية والمائية محدودة للغاية

---

(٢) جمال حمدان : الجماهرية الليبية العربية الاشتراكية العظمة –المتبولى –القاهرة–١٩٩٦م –ص ٥٧،٥٨

(٣) لويتجى توريلى" أول من اقترح فكرة مستعمرات منفى ،والذى كان يشغل منصب وزير الزراعة فى الحكومة الإيطالية ١٨٦٤م

كلفت الحكومة الإيطالية تكاليف باهظة فاقت ما تربو إليه من إيطاليا من عوائد ، وبالفعل كانت ليبيا دائما عبئا ماليا وخسارة مادية على إيطاليا فتحركها لليبيا فشل سكانيا واقتصاديا .

ثالثا: دور الصحافة الإيطالية وتهيئة الشعب الإيطالى والتمهيد لغزو ليبيا :

بدأت الصحف الإيطالية فى أواخر القرن التاسع عشر الترويج لفكرة غزو ليبيا والتوسع الإيطالى فيها بوصفها ب "طرابلس الجميلة " بوابة إفريقيا وتجارة الصحراء ومصدر الزيتون والحبوب ، كما روجت أن احتلال ليبيا وتونس سيكون بمثابة المتنفس لإيطاليا فى البحر المتوسط الذى تسيطر عليه فرنسا وتونس فى مستعمراتهما [١] ، والاشتراكيون هم أول من حاولوا إقناع أنفسهم ومواطنيهم بمميزات ليبيا وضرورة احتلالها ، فأثرت الحملات الإعلامية على مشاعر الإيطاليين إلى أن أوصلتهم إلى الروح الصليبية الاستعمارية عن طريق الدوائر الدينية التى كان لها دور فى التحريض على الغزو، فكان الكاثوليكيون فى إيطاليا أكثر المؤيدين لضم طرابلس [٢]، كما كانت معظم مالية الفاتيكان فى يد بنك روما ، إلا أن الكنيسة رفضت أن تظهر تلك الحملة الغاشمة على طرابلس بمظهر الدفاع عن العقيدة الكاثوليكية وصرحت بذلك فى بيان رسمى فى صحيفة " أوسيرفاتورى رومانو " [٣] ، وازدادت الحرب الإعلامية فى ١٩١١م عندما عاد جولويتى إلى رئاسة الوزارة الإيطالية ، فكان عامل التهيئة الفكرية والنفسية لغزو طرابلس من قبل الصحف على الرأى العام الإيطالى ذات أثر كبير فى تهيئة الشعب الإيطالى وحشده للغزو .وعلى الجانب الأخر لم يرضى الشعب الإيطالى بتلك المقالات فاجتمع عدد كبير من أهل طرابلس، وأرسل الأعيان رسالة بالتلغراف إلى إسطنبول يظهرون فيها استيائهم من تلك اللهجة التى تحث بها الصحف الإيطالية ((.... رجالنا وأولادنا قد عاهدوا الله والشرف والذمة على أن يريقوا أخر نقطة من دماءهم قبل أن يدنس وطنهم أعداء السلطة العثمانية))[٤]

دور اليهود فى التمهيد للغزو الإيطالى :

واستغل الإيطاليون اليهود الليبيين فى توغلهم السلمى وقد كان لليهود دور غير محدود فعن طريقهم قدمت الدعم لجمعية الاتحاد والترقى من خلال الجمعيات الماسونية ومحفل سالونيك ، وقد أكد مارلنج القائم

---

(١) محمد فؤاد شكرى : مرجع سابق – ص ١٠٥

(٢) شكرى : مرجع سابق – ص ١٠٦

(٣) محمو دمنسى : مرجع سابق – ص ٤٣

(٤) نفسه – ص ٣٩،٤٠

بأعمال السفارة البريطانية فى الأستانة فى تقاريره وكذلك اعترف احد قادة الاتحاد والترقى فى ٢٠ أغسطس١٩٠٨م. ومن أشهر شخصيات اليهود الذين استخدمهم الإيطاليون فى سياستهم فكتورعمانويل، قره صو (قراصو) الذى وصفته المصادر الأجنبية بأنه لعب دورا مهما فى احتلال إيطاليا لليبيا نظير مبلغ من المال ويذكر أنه أسبانى من أصل يهودى وهو احد قادة الاتحاد والترقى ، عين بالبرلمان التركى وكان عضوا فى وضع الدستور وصل إلى درجة الحاخام الأكبر فى تركيا ،ومثل الحكومة التركية فى مؤتمر لوزان ١٩٢٢م، وتقرب من أتاتورك وكان ممثلا فى مؤتمر لاهاى وباريس هرب من الدولة العثمانية إلى إيطاليا وتوفى بها ١٩٣٤م[١]

إبرام التحالفات الدولية

المبحث الأول : إيطاليا والحلف الثلاثى (ألمانيا – النمسا – إيطاليا)

بعد الاحتلال الفرنسى لتونس كان على إيطاليا أن تجد من يتحالف معها ويعترف بأطماعها الاستعمارية ، ولذلك اقتربت إيطاليا من ألمانيا ثم سعت كل منهم لدعم علاقاتها بالأخرى ، والتقت سياساتها من أجل تحقيق هدفين الأول عزل فرنسا والوقوف أمام توسعاتها ، والثانى السعى لتأمين أطماعها الاستعمارية مرة أخرى ، فلم يكن بينهما أى اضطرابات أو خلافات، أما النمسا وإيطاليا فوجد بينهما الخلاف لتعارض مصالحهما فى البلقان والأدرياتيكى بالإضافة إلى بقاء بعض الأراضى الإيطالية تحت سيطرة النمسا ، ولكن احتلال فرنسا لتونس دفع بتقارب النمسا وإيطاليا والتفاهم حول خلافاتهم والتقارب بينهما ، وبحاجة كل منهما إلى الأخرى التقت أهداف الدول الثلاث واستطاعت ألمانيا أن تجمع بين إيطاليا والنمسا ووقعت معاهدة التحالف الثلاثى فى ٢٠ مايو ١٨٨٢م (٢)ونصت على المواد التالية:

المادة الأولى : تتعهد الأطراف المتعاقدة بالسلم والصداقة وعدم الدخول فى أى تحالف أو التزام موجه ضد أى من هذه الدول وتتعهد الدول المتحالفة بتناول الآراء حول المسائل السياسية والاقتصادية ذات الصفة العامة ، كما تتعهد أيضا بتأييد بعضها البعض فى نطاق مصالحهم الخاصة.

---

(١) أسامة بركات : اليهود فى ليبيا ١٩١١-١٩٥١ ،ص ٤٨،٤٩

(٢) عمر عبد العزيز عمر : تاريخ أوروبا ١٩١٩ – ص ٣٩،٤٠

المادة الثانية : فى حالة تعرض إيطاليا للهجوم لأى سبب كان من جانب فرنسا دون أن تثير إيطاليا أى استفزاز ، فإن الطرفين الأخرين المتعاقدين سيضطران إلى تقديم العون والمساعدة بكل قواها للطرف الذى يهاجم وينطبق هذا الالتزام نفسه على إيطاليا فى حالة هجوم من فرنسا ضد ألمانيا دون أن تثير أى استفزاز مباشر.

المادة الثالثة : واذا ما حدث وهوجم طرف أو طرفان من الأطراف السامية المتعاقدة دون ما استفزاز مباشر من جانبها وإذا ما وجدت نفسها وقد انخرطت في حرب مع دولة أو أكثر من الدول العظمى لم توقع على المعاهدة الحالية فإن هناك ما يبرر قيام كل الأطراف المتعاقدة في الحرب في وقت واحد .
المادة الرابعة : إذا ما هددت دولة عظمى غير موقعه على هذه المعاهدة الحالية سلامة الدول السامية المتعاقدة و إذا ما وجدت الدول المهددة نفسها على هذا النحو مدفوعة إلى شن الحرب ضد تلك الدولة فإن الطرفين الآخرين يلتزمان بالحياد المشوب بالعطف بجانب حليفتيهما وتحتفظ كل منهما بحقها في الاشتراك في الحرب إذا ما رأت أنه من المناسب جعلها قضية عامة مع حليفتيهما .

المادة الخامسة : إذا ما برز أي تهديد لسلم أحد الأطراف المتعاقدة في الأحوال المنصوص عليها في المواد السالفة الذكر ، فإن الأطراف المتعاقدة السامية تجتمع مع بعضها البعض في الوقت المناسب حول موضوع الإجراءات العسكرية المطلوبة لآجل تعاونهما النهائي ، وتتعهد أنه من الأن فصاعداً وفي كافة الأحوال وفي حالة اشتراكهما في الحرب معاً بأنها لن تعقد هدنة أو صلحا أو معاهدة إلا بالاتفاق

المتبادل [١] حققت تلك المعاهدة توسيع الخلاف بين فرنسا وعدد كبير من الدول الأوروبية، وكانت مدة المعاهدة خمس سنوات قابلة للتجديد ، حصلت ايطاليا على ما ترمي إليه وهو الاعتراف بها كدولة عظمى لحمايتها من فرنسا ، ولقد أعطاها التحالف الثلاثي هذا الأمر ، اعتقد ساسة إيطاليا بأن صفحة جديدة بدأت لتحسين العلاقات الإيطالية النمساوية ، ولكن ثار الإيطاليون في الأراضي الخاضعة للنمسا والمجر يدفعهم شعورهم بأنها قد تخلت عنهم ، وساندتهم بعض الصحف الإيطالية وحتى لا تسوء العلاقات الإيطالية النمساوية ، بادر رئيس الوزراء الإيطالي باستنكار هذه الأعمال في مجلس النواب الإيطالي عام ١٨٨٣ م وعندما تولى " فرانشيسكو كريسبي " رئاسة الوزارة الإيطالية عام ١٨٨٧ م ، واقترب موعد تجديد معاهدة الحلف الثلاثي ، رأى انه لا بد من تجميد مشكلة الأراضي الإيطالية المحتلة ، حتى يحصل على اعتراف صريح بأطماع إيطاليا الاستعمارية [٢] وفي هذا التجديد كانت ألمانيا سيدة التحالف هي أول من استجاب لنداء إيطاليا لتجديد هذا التحالف ، ووقع خلال هذا التجديد بروتوكول منفصل بين ألمانيا وإيطاليا أن ألمانيا ستدعم العمل الإيطالي في ليبيا [٣] ، ويتضح من خلال المراسلات التي كان يتبادلها وزير الخارجية الإيطالي مع سفيريه في برلين وفيينا أن السياسة الإيطالية قد بدأت

---

(١) عمر عبد العزيز عمر : تاريخ أوروبا – ١٩١٩–ص٥٠

(١) حافظ البوري – مرجع سابق– ص ١٨٤ ، ١٨٥

(2) Raza: op.cit.,– p.93

تعطي نتائجها باتفاق وجهات النظر بين البلدان الثلاثة ،وقد اشتملت المعاهدة عند تجديدها على عقد معاهدة جديدة بين ألمانيا وإيطاليا وعقد معاهدة جديدة بين النمسا وإيطاليا ، وقد نصت المادة الثالثة من المعاهدة الألمانية الإيطالية على أنه اذا أرادت فرنسا بسط سيطرتها أو فرض حمايتها على الأراضي في شمال إفريقيا كطرابلس أو تونس أو مراكش فإن للحكومة الإيطالية الحق كي تحافظ على وضعها في البحر المتوسط ، أن تقوم أو أن تتخذ إجراءات عسكرية في الأراضي الفرنسية في أوروبا . أن الحالة الحربية التي تنشأ من جراء ذلك بين فرنسا وإيطاليا تلزم الدولتين الحليفتين ألمانيا – إيطاليا التشاور فيما بينهما بطلب من إيطاليا لأجل اتخاذ المقاييس العسكرية لو كانت الدولتان في تفاهم سابق بينهما ، وأرادت إيطاليا الضمان الإقليمي من فرنسا لأجل المحافظة على حدود المملكة ولآجل حماية أقاليمها البحرية ، وللمحافظة على سلامة البلاد واستقرارها والسلام الأوروبي ، فيجب على ألمانيا ألا تقدم عوائق بشأن هذه المطالب،هذا التحالف اعترف بحق إيطاليا في تأسيس إمبراطوريه استعمارية ، كما اعترف بحقها في نيس و كورسيكا وتونس كضمانات في حالة حرب ناجحة مع فرنسا والاعتراف بحق إيطاليا في تعويض أرض في حالة قيام حرب ألمانية فرنسية ولقد وافق بسمارك على إنهاء كل تلك الامتيازات لإيطاليا ، وفي مايو ١٨٩١م تم تجديد معاهدة الحلف الثلاثي للمرة الثالثة ، وكان البند التاسع فيها ينص على ((أن تتعاون الدول الحليفة المحافظة على الوضع الراهن في الشمال الإفريقي في البحر المتوسط ، وبالتحديد برقة وطرابلس وتونس ، أما اذا اعترفت إيطاليا وألمانيا عقب فحص دقيق للحالة الداخلية في تلك المنطقة بأن استمرار الاحتفاظ بالوضع الراهن أصبح مستحيلاً ، فإن ألمانيا تتعهد بعد اتفاق مبدئي بأن شأن إيطاليا في أي عمل إيجابي أو احتلال تقوم به الأخيرة للحصول على امتيازات ، وهذا العمل من جانب إيطاليا إنما يكون لحفظ التوازن الدولي ، والمكافأة المشروعة ومن المتفق عليه أنه لنفس هذه الاحتمالات فإن للدولتين أن تتباحث لإبرام اتفاق مع إنجلترا)) [١] ، جددت المعاهدة للمرة الخامسة ، وألحق بها اتفاق نمساوي إيطالي للمحافظة على الأوضاع في أراضي الشرق وعدم اتخاذ أي إجراء يعرقل أطماع إيطاليا في ليبيا ، وكان في شكل تصريح من النمسا بإطلاق يد إيطاليا في طرابلس اطمأنت إيطاليا لتأييد أطماعها في طرابلس وبدقة ولكن كان عليها التأكد من وقت لآخر لاستمرار التعهدات من قبل ألمانيا والنمسا والمجر ففي (١٩٠٣ – ١٩٠٥) م حصل جوليتي رئيس الوزارة الإيطالية خلال رئاسته الثانية على تعهد من ألمانيا بعدم التدخل في حالة قيام إيطاليا بغزو طرابلس ، كما استطاع خلال رئاسته الثالثة (١٩٠٦ – ١٩٠٩) م الحصول على اعتراف النمسا موافقتها على احتلال إيطاليا

---

(١) عمر عمر : مرجع سابق –٣٢٢ ، ٣٢٤

لطرابلس بشرط ألا تمتد إلى تركيا والبلقان[١] . بعد الثورة التركية ١٩٠٨ م قامت النمسا بالاستيلاء على البوسنة والهرسك واعتبرت إيطاليا هذا إخلالا بالالتزامات التي تعهدت بها فيينا من أجل المحافظة على الوضع في البلقان ، وخشيت من أن تمتد نفوذ النمسا إلى الأدرياتيكي وألبانيا وكل البلقان مما يقضي على كل أمل إيطاليا في المنطقة ، فدعاها ذلك إلى أن تصرح في ٢٧ أكتوبر ١٩٠٨ م بأنها غير قادره على أن تبقى حليفه للنمسا والمجر ، وفي حالة أي صدام لهما مع إنجلترا فستقف إيطاليا إلى جانب إنجلترا دون أي تحفظات ، وقد حل الحلف في ١٩٠٩ م ولكن سرعان ما عادت إيطاليا لتحسين العلاقات مع النمسا والمجر من جديد ، ومن جهة أخرى سعت للتقرب من روسيا للضغط على النمسا والمجر ، زادت الحدة بين البلدين إيطاليا والنمسا ، أما ألمانيا فصار موقفها صعب بحكم مصالحها الاقتصادية وعلاقتها بالدولة العثمانية فوجدت صعوبة في التوفيق بين النمسا حليفها الطبيعي والبقاء على علاقتها الجيدة مع الحكومة العثمانية [٢]، ولكن مخاوف إيطاليا قد دفعتها إلى اقتراح يونيو ١٩٠٩ م على حكومة فيينا " بأن يتعهد كل منهما بألا يعقد أي اتفاق مع طرف ثالث في البلقان دون إشعار الطرف الأخر به ، ورحبت حكومة فيينا وتقدمت بدورها بمبادرة في يوليو من نفس العام عن طريق سفيرها الإيطالي بها " أنه في حالة إذا ما تعرضت سياسة الوضع الراهن في البلقان لتغيير فإن الدولتين تتعهد بعدم التدخل " [٣] ، هذا يوضح أن النمسا لا تريد أن ترتبط باتفاق مع إيطاليا يقيد حركتها السياسية وما تريده فقط إلا تخسر إيطاليا ولا تتركها تتجه لدولة أخرى وتحقق أمانيها في البلقان فتحرر أراضيها . أما الحكومة الإيطالية فاستمرت طوال عام ١٩١٠ م تراقب سياسة حليفتها مدركة أن الصعوبة في الموقف الدقيق ناتجة عن علاقة ألمانيا المتعاطفة مع قمة إسطنبول ورأت أنها لا بد أن تتبع سياسة المساومة لتصل إلى أراضيها ، ولذا رأت أن احتلال طرابلس هو الحل لتوطيد العلاقة بين روما وإسطنبول ، و أيضا بقاء الحلف الثلاثي قائما ، وساد في ألمانيا خلاف فى الأوساط السياسية حول التخلى عن تحالف إيطاليا أو الإبقاء عليها ، وأرسلت إيطاليا إلى ألمانيا تطلب منها تصريح رسمى للاعتراف بأطماعها ، وكانت ألمانيا تحاول إيجاد حل للخلاف العثمانى الإيطالى حتى لا تخسر الاثنين ، فعادت الدبلوماسية الإيطالية إلى نغمة التهديد بعدم تجديد الحلف الثلاثى قائلة بأنها غير مستعدة للارتباط فى حلف مع دولة تقف موقفا سلبيا وغير ودى مع مصالحها ، لكن الحكومة الألمانية

---

(٢)البوري : مرجع سابق – ص١٩٠

(٣) عبد المنصف البورى : مرجع سابق –ص ١٩٣

(٤) سلام محمد على الأسدى : الغزو الإيطالى لليبيا بين التسويات الدولية والاستعداد العسكرى ١٨٧٨-١٩١١-جامعة القاسية – العدد١٣-٢٠١٣-ص٤٠٥

أكدت للحكومة الإيطالية أنها تحاول إقناع إسطنبول بتقديم تنازلات لها بصورة سلمية [١] ولكن ألمانيا التى وعدتها بمؤازرتها وبنفوذها فى الأستانة وغدرت بها وتركت الجيش التركى والعرب المسلحين يناوشونها ، ويؤججون نار الثورة على إيطاليا فى صدور الأهالى ، فاضطرت إلى قبول الوفاق الثلاثى[٢]

(١) البورى مرجع سابق – ص ١٩٨،١٩٩

(٢) محمد سيد الكيلانى : الغزو الإيطالى على ليبيا فى الصحف ما بين ١٩١١-١٩١٧م-ط١-الفرجانى-القاهرة – ص ٣٣٧

المبحث الثانى : المساومات الإيطالية الإنجليزية

كان على إيطاليا أن تكسب موافقة بريطانيا على سياساتها ، باعتبارها القوة البحرية ، وظلت سياسة التقرب من إنجلترا من أسس السياسة الإيطالية ،كانت إنجلترا حذرة فى علاقتها السياسية مع الدول الأوروبية ومنها إيطاليا فلم تعطى أى صيغة قاطعة فى أطماع إيطاليا فى طرابلس فى أى مناسبة ، ولقد مرت الدبلوماسية بين إيطاليا وإنجلترا بمرحلتين ، الأولى أثناء تناقض سياسات فرنسا وإنجلترا ، وذلك أثناء احتلال فرنسا لتونس ١٨٨١م ، وإيطاليا للوفاق بينهما وبين فرنسا ومنذ الاحتلال البريطانى لمصر ١٨٨٢م ، والتوتر يسيطر على العلاقات الإنجليزية الفرنسية ، والثانية عند تقارب فرنسا وإنجلترا فى أعقاب حادثة فاشودة ١٨٩٨م ، فعملت إيطاليا على المحوريين للتقارب مع فرنسا وضمان تأكيد إنجلترا على معاهدتها فى السابق ، ففى المرحلة الأولى بادرت إيطاليا بدعوة إنجلترا بعقد اتفاقية إنجليزية إيطالية للتحذير من الخطر الفرنسى فى البحر المتوسط وضمان موافقة إنجلترا على أطماع إيطاليا فى طرابلس ، وكانت استجابة إنجلترا لتلك الاتفاقية بسبب الصعوبات التى توجهها إنجلترا فى الداخل أيرلندا ، أو فى الخارج المسألة المصرية مع فرنسا ومنها كانت حاجة إنجلترا لتأييد إيطاليا معنويا لعله يستبعد مساندة بقية أعضاء الحلف الثلاثى ، وبعد عدة مشاورات تم توقيع اتفاق سرى فى ١٢ فبراير سنة ١٨٨٧م أخذ شكل خطابات متبادلة [١] ، ولقد نص هذا الاتفاق على عدة بنود أولها المحافظة على الوضع الراهن فى البحر المتوسط ، والبحر الأسود ، والبحر الأدرياتيكى و بحر إيجة ، وثانيها : منع كل من يحاول إقامة محمية أو احتلال أو ضم مناطق فيها ومعارضة أى تغير فى هذه المناطق قبل الحصول على موافقة الدولتين ، ثالثهما تأييد إيطاليا لبريطانيا فى المسألة المصرية وتأييد بريطانيا لإيطاليا فى الشمال الإفريقي وعلى وجه الخصوص فى ولاية طرابلس ضد أى اعتداء قد يقع عليها من طرف ثالث [٢] ، هذا الاتفاق كان أكثر تحديدا ووضوحا فى الجانب الإيطالى الذى جاءت عبارته صريحة فى مساندة مسلحة لإنجلترا إذا ما لزم الأمر والاعتراف بها فى مصر فى حين أن التصريحات الإنجليزية جاءت مبهمة متعلقة بالمسألة والظروف المحيطة حينها أى اتجاه إيطاليا نحو طرابلس والتحرك لديها سوف يكون على الوضع الذى تطتلبه ظروف مصالحها [٣] ، ويتضح من تلك الرسالة مدى العداء الشديد لفرنسا من قبل

---

(١) سلام على الأسدى : مرجع سابق –ص ٤٠٧

(٢) عبد المنصف البورى : مرجع سابق – ص ٢٠٤ ،٢٠٥

(٣) على الأسدى : مرجع سابق – ص ٤٠٨،٤٠٧

إيطاليا والخوف من أن تسير فرنسا الدولة المسيطرة على البحر المتوسط وتحكم قبضتها على طرابلس كما هو الحال فى تونس ، وأن سيطرة فرنسا من مراكش إلى مصر هذا فيه تهديدا مباشرا لإيطاليا والملاحة فى البحر المتوسط ، ونسقت إيطاليا مع إنجلترا لتحذير فرنسا من إجراء أى عمليات فى البحر المتوسط وطلبت من إنجلترا أن توجه إنذار لفرنسا أن قيامها بأى تغيرات فى البحر المتوسط سيقوم الأسطولين الإنجليزى والإيطالى بالرد عليها ، ولكن إنجلترا رأت انه ليس من المناسب فى هذا الوقت أن تقوم بهذا التحذير ففرنسا ليس لها أى نية فى طرابلس الأن ، وأن احتلال إيطاليا لطرابلس دون موافقة فرنسا سيثير البلاد الإسلامية ، كما أن السلطان العثمانى لن يرضى أن تضيع منه ولاية جديدة وربما يلجأ لحماية روسيا [١] ، وفى هذه المرحلة حصلت إيطاليا على تأييد من إنجلترا لمساندتها اذا ما حصل اعتداء من فرنسا على طرابلس واستمرت عدة سنوات ، أما فى المرحلة الثانية فتميزت بتقارب فرنسى – إنجليزى ، وبقيت الأوضاع كما هى بين الثلاث دول حتى حادثة فاشودة ١٨٩٨م ، والتى أدت إلى اتفاق ١٨٩٩م بين إنجلترا وفرنسا مما أثار مخاوف إيطاليا على مصالحها فقررت أن تسلك سياسة السير فى اتجاهيين فى تأكيد تحافلها مع إنجلترا والتقرب من فرنسا [٢] ، وفى مارس ١٨٩٩م وقعت اتفاقية بين فرنسا وإنجلترا على تحديد نفوذ كل منهما فى شمال إفريقيا ، وطلبت إيطاليا تعديلات على حدود ليبيا مع مصر وتشاد من ناحية فزان وترك طرابلس خارج نطاق الاتفاق الإنجليزى الفرنسى [٣] ، وفى عام ١٩٠٢ م أقنعت إيطاليا إنجلترا بتجديد معاهدة ١٨٨٧م ولكن "جوليو ترينيتى "رفض بحجة انشغال إنجلترا فى مصر والسودان وفى ١١ مارس ١٩٠٢م وقعت اتفاقية صداقة وتعاون بين البلدين كان فيها:

١_ إذا حدثت ظروف خارجة عن إرادة إيطاليا فحالت دون استمرار بقاء الوضع القائم كما هو فإن الحكومة الإنجليزية تعترف لإيطاليا بحقها فى احتلال طرابلس وبرقة.

٢– تتعهد إيطاليا بمساندة إنجلترا فى المسالة المصرية وتعد بعدم اتخاذ أى إجراءات عدائية ضد إنجلترا سواء من جانب فرنسا وروسيا أو من جانب إمبراطوريات الوسط الأوروبى ، وأثناء استعدادات إيطاليا لغزوها العسكرى على ليبيا ذهب السفير الإيطالى فى ٢٦ يوليو ١٩١١م إلى ساسة إنجلترا ليوضح لهم أسباب الغزو الإيطالى على ليبيا فرد وزير خارجية إنجلترا بأن" إنجلترا لن تفعل شيئا ضدها وسوف

---

(١) محمود منسى : مرجع سابق – ص ٢٩

(٢) نفسه – ص ٢١٧،٢١٨

تمنحها كل عطفها المعنوى فقط وتنظر إلى الوقت المناسب لتقول لإسطنبول أنها لا يمكنها أن ترجو من إيطاليا غير هذا بعد المعاملة السيئة التى عوملت بها " [1] وهذا يعنى أن إنجلترا ليس لديها أى اعتراض على احتلال إيطاليا لليبيا على أن تبقى مصالحها الاقتصادية دون مساس فهى بذلك تضمن تأمين حدود مصر الغربية من الأطماع الفرنسية ، وفى هذا أيضا تأييد إيطاليا لإنجلترا بحقها فى مصر حسب معاهدتى ١٨٨٧م، ١٩٠٢م .

(٣) عبد المنصف البورى – ص ٢٢٠

المبحث الثالث : التفاهم الاستعمارى بين إيطاليا وفرنسا .

منذ احتلال فرنسا لتونس عام ١٨٨١م والعلاقات الإيطالية – الفرنسية متوترة ، ولقد اتخذت فرنسا إجراءات مضادة بعد تحالفها مع ألمانيا فى شكلين الأول الضغط الاقتصادى والثانى التعاون مع الفاتكان ضد سياسة الحكومة الإيطالية [١] ، فلقد سعى كريسبى إلى مضايقة فرنسا فى تونس وخاصة فى المجال الاقتصادى ، فقام القنصل الإيطالي ((ماشيو)) بدور مهم في هذا ، فدعم الإيطاليين في تونس ونشر دعاية معادية لفرنسا بين التونسيين ، وقام بتمويل بعض الصحف العربية لمهاجمة لفرنسا ، كما دعم مصالح الإيطاليين الاقتصادية في مواجهة المنافسة الفرنسية ، كما في مسألة سكة حديد – تونس – حلق الوادي [٢] . وقد تفاقم الخلاف بين الحكومتين الفرنسية والإيطالية فأسرعت الأولى بإخضاع المدارس والجمعيات الإيطالية في تونس لنظام الترخيص الحكومي ، وحاولت الحكومة الإيطالية من جانبها أن تتمسك بمعاهدة عام ١٨٦٨ م المعقودة مع تونس والتي تمنح الإيطاليين امتيازات عدة ، لكن فرنسا رفضت ذلك على اعتبار أن تونس خاضعة لها ولا يحق لإيطاليا التذرع بمعاهدة لممارسة نشاطها في تونس [٣] ، فلقد سعت إيطاليا قدر استطاعتها على أن تحقق أهدافها وتتغلب على عدوها الأول في مخططها الاستعماري لفرنسا وذلك بإتباع سياسة التنافس معها ولكنها في ذلك الاتجاه ، ولكنها لم تكتف بهذا القدر ولم تقف أمام هذا الاتجاه فقط فلقد حاولت أن تعارض فرنسا وتحد من توسعها الاستعماري عن طريق إثارة الإمبراطورية العثمانية عليها كما عملت مع إنجلترا ضد فرنسا بادعاء تهديد الملاحة في البحر المتوسط ولكنها فشلت بعد اتفاق إنجلترا وفرنسا دون احترام مستعمراتهما و اتفاقاتهما فما كان أمام إيطاليا بعد أن رأس حكومتها ((روديني)) الذي رأى أنه لابد أن تغير سياستها مع فرنسا وتحسن علاقتها بها ، ولذا اجتمع وزير خارجية إيطاليا بالسفير الفرنسي في روما ورتبت مقابلة بين السفير وملك إيطاليا تحدثا خلالها عن روابط الصداقة بين إيطاليا وفرنسا ، وأعطت فرنسا وعدا بتأييد أماني إيطاليا في طرابلس شرط أن تعترف الأخيرة بالاحتلال الفرنسي لتونس في ٢٨ سبتمبر ١٨٩٦ م ، واقترح هذا وزير خارجية فرنسا آنذاك ((فسكونتي فينوستا)) الذي كان يعارض محاولات ألمانيا لإبعاد إيطاليا عن فرنسا وفي المقابل منح الإيطاليون في تونس عقب هذا الاعتراف مباشرة امتيازات اجتماعية وقضائية

---

(١) عبد المنصف حافظ البوري : مرجع سابق – ص ٣٦

(٢) نفسه : مرجع سابق – ص ٣٤

(٣) البورى : نفسه – ص ٢٢٣

ووعدوا بمعاملة أفضل للاقتصاد الفرنسي [١] . فكان لابد لإيطاليا التقرب منها خاصة وأن الرأى العام كان يميل لفرنسا ويرى الابتعاد عن ألمانيا والنمسا وقد رأى أن تجديدها فى عام ١٨٨٧م لمدة عشر سنوات أخرى لا يحقق مطالب إيطاليا القومية [٢] ، حتى وصل إلى اعتراف فرنسا بأطماع إيطاليا فى طرابلس وأن ليس لفرنسا أى أحلام بالتوسع فيها واتخذت تلك الاتفاقيات شكل المراسلات فلقد بعث سفير فرنسا فى روما :

١- تأكيد اتفاقية ٢١ مارس ١٨٩٩م والتى قسمت مناطق النفوذ بين فرنسا وإنجلترا وأخرجت طرابلس من هذا التقسيم.

٢-أن الحكومة الفرنسية وضعت حدا لدائرة نفوذها لا ترغب فى تجاوزه تجاه طرابلس وبرقة .

٣- لا يدخل ضمن مشاريعها تحويل المواصلات التجارية القائمة بواسطة طرق القوافل إلى المناطق المقصودة من الاتفاقية المذكورة.

٤- المحافظة على سرية الاتصالات بين البلدين لتوطيد الصداقة بينهما .

وكان رد وزير خارجية إيطاليا أن "عمل فرنسا فى مراكش لن يضر بمصالح إيطاليا فى البحر المتوسط ، وأن مراكش من حق فرنسا لأنها تجاور مستعمراتها الجزائرية ومن حق إيطاليا تطوير نفوذها فى طرابلس كما هو حال فرنسا فى مراكش" [٣] ،كان حرص فرنسا على تسيير مصالحها الاقتصادية وزيادة استثمارها فى شمال إفريقيا من أهم الدوافع لهذا التقارب لتتفادى عرقلة مصالحها ،ولهذا سعت الدولتين للتقارب وتجديد العلاقات بينهما من آن لأخر . ففى أول نوفمبر ١٩٠٢م أرسل وزير الخارجية الإيطالى إلى السفير الفرنسى بروما رسالة عن أوضاع البحر المتوسط ، وأن كل دولة لها الحق فى توسيع نطاق نفوذها دون الارتباط بالأخرى فلا خلاف بين مصالحيهما فى البحر المتوسط كما تضمنت تلك الرسالة ((بأنه فى حالة حدوث اعتداء مباشر أو غير مباشر على فرنسا من قبل دولة واحدة أو أكثر فان إيطاليا تستلزم بالحياد التام)) ، وتعهدت إيطاليا بأنها لن تبرم أى اتفاقيات تخالف هذه التصريحات ، وكان الرد على تلك الرسالة باتفاق وجهات النظر وتعهد فرنسا بالتزام الحياد فى البحر المتوسط وألا ترتبط بأى

---

(٤)جلال يحي : التاريخ الأوروبى - ص ٥١٥

(١)وكان رد وزير خارجية إيطاليا فى البرلمان قائلا ((أن فرنسا لا ترغب فى التوسع فيما وراء الحدود الشرقية لمستعمراتها داخل ولاية طرابلس وذلك يعتبر أساسا لعلاقات الصداقة التى تنمو بين البلدين)) انظر البورى :مرجع سابق –ص ٢٢٧

(٢)جلال يحى : مرجع سابق - ص ١٥١

بروتكول عسكرى يخالف هذه الاتفاقيات ، ولدعم تلك الاتفاقيات تبادلت فرنسا وإيطاليا الزيارات بين عامى ١٩٠٣ – ١٩٠٤م ، وعندما ثارت مشكلة مراكش بين فرنسا وألمانيا وقفت إيطاليا إلى جانب فرنسا ودعمتها ،وهذا يوضح أن فرنسا كانت تدرك أن السياسة الإيطالية الاستعمارية تتجه بأنظارها نحو طرابلس من خلال اتفاقية ١٨٩٩م ، فطمأنتها أن تلك الولاية لا تدخل فى نطاق نفوذها هى وإنجلترا ، والدولتين فى البحر المتوسط سببا فى التقارب الفرنسى والإيطالى الذى دعمته العديد من الاتفاقيات التى اتفقوا على سريتها الى أن توصلوا إلى تبادل المصالح والدعم لكليهما فدعمت إيطاليا فرنسا فى مراكش على أن للأولى الحرية فى طرابلس ، والحياد فى حالة الاعتداء الخارجى على أحداهما وبذلك تكون قد وافقت فرنسا على احتلال إيطاليا لليبيا .

المبحث الرابع : الاتفاق الروسى- الإيطالى حول المصالح المتبادلة

حصلت إيطاليا على تأييد ألمانيا والنمسا وفرنسا لأطماعها فى طرابلس ، واتجهت للحصول على موافقة روسيا فسعت إلى التقارب معها مستندة إلى ما يجمعهما من ظروف سياسية كمنافسة النمسا لهما فى البلقان ، وخلاف كلتيهما مع الدولة العثمانية و كذلك كان على روسيا التقرب من إيطاليا فهى تبحث عن دولة تتفق معها لتعادل الدول الأوروبية فى قوتها ووجدت ضالتها تلك فى إيطاليا التى كانت تشاركها الحلم فى البلقان والأدرياتيكى ، ولذلك التقت مصالحيهما فى عداء النمسا ، وعندما زار قيصر روسيا نيقولا الثانى إيطاليا عام ١٩٠٩م انتهز جيوفانى جوليتى رئيس الوزارة الإيطالية فرصة هذه الزيارة وبحث معه عدة مسائل وقد وصف العلاقات الروسية الإيطالية بأنها ((ودية بدرجة تجعلها تتجاوز نطاق الود لتدخل فى نطاق الإخوة)) [١] ،وطرح موضوع احتلال طرابلس فوجد تجاوبا من الجانب الروسى وبدأت المفاوضات الرسمية بينهما ، وارتكز جوليتى فى دعم حلمه من روسيا على الاهتمام الروسى بحرية المرور فى المضايق مستغلا ذلك ، ولكن تلك المفاوضات لم تكن بالأمر اليسير فروسيا كانت قد أصرت على أن يكون احتلال إيطاليا منحصرا فى مدينة طرابلس فقط حيث الجالية الإيطالية ولما رأى جولتى إصرار روسيا على هذا اقترح أن تحذف كلمة مدينة من الاتفاقية ويكون النص " أن روسيا تعترف بحقوق ومصالح إيطاليا فى طرابلس " ، وتمت تلك الاتفاقية فى مدينة راكونجى وسميت باسمها وكان فى ٢٤ أكتوبر ١٩٠٩م وجاء فيها :

١- تتعهد الدولتان بالمحافظة على الوضع القائم فى البلقان .

٢- إذا حدث أى تغير فى المنطقة المذكورة فإن الدولتين ستؤيدان استقلال الدول البلقانية وإبعاد أى سيطرة أجنبية عنها .

٣- ستقوم الدولتان بعمل مشترك ضد كل اتجاه يعارض هذه الغايات .

٤- عدم إبرام اتفاقيات جديدة بخصوص الشرق الأوروبى مع دولة ثالثة بخلاف الاتفاقيات الموجودة حاليا قبل التشاور بين البلدين .

٥ - تأييد روسيا لمصالح إيطاليا فى إقليمى طرابلس وبرقة وتأييد إيطاليا لمصالح روسيا فى مسألة المضايق، ولكن تلك الاتفاقية أثارت مخاوف ألمانيا والنمسا التى كانت ترى أن أطماع روسيا وأحلامها

---

(١) البورى : مرجع سابق -ص ٢٣٨

ليس لها حدود [١] ،ولكى تبقى إيطاليا على علاقتها مع النمسا عقدت اتفاقية فى ١٩ديسمبر ١٩٠٩م [٢] ، أما روسيا فوزعت بيانا على سفارتها فى الدول الأوروبية يوضح أن الحفاظ على الاستقلال الطبيعى للدويلات البلقانية ، وأن سيرهما (روسيا وإيطاليا) إنما للمحافظة على الوضع السياسى الراهن فى الإمبراطورية العثمانية ، واطمأنت إيطاليا إلى موافقة روسيا لما تنوى إيطاليا القيام به فى ليبيا قبيل الاحتلال فى أغسطس ١٩١١م بل و وجدت تشجعا على الإسراع نحو التنفيذ [٣] ، ويبدو أن روسيا وإيطاليا كانتا متفقتين حول رأيهما فى البلقان ومعترفة بمصالح كليهما فى المضايق لروسيا ، وفى طرابلس وبرقة لإيطاليا ، وهكذا استطاعت إيطاليا الحصول على تأييد الدول الأوروبية فى استعمارها لليبيا متبعة سياسة مبدأ التنازلات المتبادلة فانضمت فى ١٨٨٢م للحلف الثلاثى لتنال اعتراف ألمانيا والنمسا ، وعند تجديدها فى ١٨٨٧ م حصلت على اعتراف ألمانيا فى مقابل الوقوف بجانبها فى التصدى لفرنسا ، وكذلك من النمسا والمجر فى مقابل أمانيها فى البلقان ، ومواجهة روسيا القيصرية ، وكذلك إنجلترا فأيدتها لاحتلالها فى مصر لتضمن حريتها فى طرابلس وأما فرنسا ففى ١٩٠٠ م فكان تبادل إطلاق الأيدى فى كل من طرابلس ومراكش دون اعتراضات من الطرفين ، ثم جاء اعتراف فرنسا فى ١٩٠٢م بعد تعهد إيطاليا لها بعدم الوقوف إلى جانب أى شيء ضدها ، وأخيرا الحصول على تأييد روسيا لإيطاليا فى طرابلس على أن تمنحها إيطاليا تأييدا مشابها فى مسألة المضايق العثمانية ، وهكذا استطاعت إيطاليا الحصول على تأييد الكتلتين الأوروبيتين المتنافستين بعد أن جمعت بين المتناقضات ، وكان هذا أحد الشروط بل وأهمها لكى تستطيع إيطاليا القيام بحملتها العسكرية على طرابلس .

---

(١) البورى : مرجع سابق – ص ١٩٦،١٩٧

(٢) عبد المنصف حافظ البورى : – ص ٢٤١

(٣) نفسه – ص ٢٤٢

الفصل الثالث : التوغل السلمى الإيطالى داخل ليبيا

المبحث الأول: أولا : الكشوف الجغرافية

الكشوف الجغرافية هى الأساس فى التعرف على أنحاء العالم والبشر والأجناس وموارد الأرض ، ونظرا لأن النهضة التى قامت فى الدول الأوروبية كانت بحاجة إلى اكتشاف أراضى جديدة حيث المواد الخام وأسواق تصريف المنتجات ، كما رغب بعض الرحالة الأوروبيون فى رحلات الكشوف الجغرافية بهدف الثراء حيث كان البعض يعود بالجواهر الثمينة ، أما المبشرون فاستخدموا تلك الكشوف الجغرافية فى التبشير ونشر المسيحية expand Christianity وأسسوا لذلك الجمعيات التى صاحبت الكشافة [١] ، لم تكن إيطاليا وحدها هى التى قامت بكشوف جغرافية فى طرابلس ، ولكن قام عدد كبير من الجنسيات المختلفة بكشوف جغرافية بها ففى ١٧٨٩م بدأ "وليام لوكس" رحلته الاستكشافية لإفريقيا الوسطى منطلقا من طرابلس نحو غامبيا برعاية إنجليزية وبتكليف من نفس الجمعية سافر الرحالة الألمانى" فريدريك هورنمان" فى سبتمبر ١٧٩٨م من القاهرة إلى مرزق عن طريق سيوه و أوجلة ثم جاء إلى طرابلس حتى وصل إلى بورنو [٢] ، أما الإيطاليون فكانت أولى رحلاتهم التى نزلت ليبيا هى التى قام بها " أغسطنيو شرفللى" عام ١٨١٢م ، ثم الرحالة " بادلوا ديلا شيلا" ١٨١٧م وكان مرافقه أحمد بك القرامنللى ، وفى نفس العام قام الإنجليزى "وليام هنرى سميث " بزيارة آثار لبدة ، ثم قام فى ١٨٢٢م باكتشاف لكل سواحل ليبيا يرافقه "بيشى" و" ج . رتيشى" و" جورج فرانسيس ليون" لاكتشاف فزان، وكانت رحلة "دى لاشياد " كانت علمية اهتمت بالقيام بدراسات وطبوغرافية و إنثربولوجية اشتملت على دراسة عادات وتقاليد سكان البلاد المحليين ، كما ركز على حصر مصادر المياه ، والمسح الطبوغرافى ، والكشف عن الآثار ، كما قامت تلك الرحلة برسم معظم تضاريس ساحل الإقليم الطرابلسى وسرت وبرقة ، وكان " باولو دى شيلا " قد ادعى أنه جاء للكشف عن آثار يونانية على شواطئ ليبيا والنباتات بها [٣]

تولت جمعية الاستكشافات التجارية لإفريقيا society dl esplorazioni commerciali والتى كان مقرها ميلانو واعتمدت على التغلغل فى برقة وجذب الإيطاليين إليها من الناحية التجارية أولا ثم السياسية

---

(١) كانت كل قومية ظهرت فى أوروبا تتباهى بجهودها الكشفية قبل مؤتمر برلين ١٨٨٤م والذى كان يهدف لتنظيم الجهود الاستعمارية ، وكانت أولى جمعيات الاستكشاف الجغرافى لباريس ١٨٢١م ، ثم الجمعية الجغرافية الملكية فى لندن ١٨٣٠م (مصطفى على : الكشوف الجغرافية الأوروبية ص٩)

(٢) محمد خليفة التليسى : مرجع سابق – ص ٤٦٨

(٣)غوليام نارودتش : استيطان برقة – ترجمة إبراهيم المهدوى –الجماهرية – ص ٢٠٨،٢٠٧

بعد ذلك ، وأولى رحلاتها فى ليبيا قام بها " مانفريدو كامبيرموفدا" عام ١٨٨٠ إلى برقة ، ثم قام " جوزيبى هايمان " فى ١٨٨١م بزيارة طرابلس ، وقام " بيترو مامولى " فى عام ١٨٨٢م و ١٨٨٣ م برحلة إلى أنحاء متفرقة من ليبيا ، و" أ. بنشيتى " فى ١٨٩٥م ثم عام ١٩٠١ م لى بنغازى ثم درنة متحديا الحظر التى فرضتها السلطات العثمانية على الرحالة فى تلك الفترة [١] ، ولقد منعت " دومينكو تومياتى " من التجول فى البلاد ، فلقد واجهت تلك الجمعية الكثير من العراقيل من الحكومة العثمانية خاصة وأنها أنشأت محطتين تجاريتين لمراقبة التجارة والسياسة فى طرابلس وبرقة كانت أحداهما فى بنغازى والأخرى فى درنة ،ومن نشاطهما نشر جميع البيانات والمعلومات حول تلك الجمعية وما تقوم به من رحلات علمية ، كما كانت تقوم بإرشاد الرواد الإيطاليين فى الرحلات ، والسعى مع الجهات المسؤولة لتنفيذ التغلغل الإيطالى فى برقة ، و تولى الإشراف على محطة بنغازى هو الكابتن "بوتيجيلا " التابع للجمعية التى قررت تأسيس محطات أخرى تابعة لها فى كل من درنة وطبرق وأسندت مهمة القيام بذلك إلى " جوسيى هايمان " الذى كان يعيش فى مصر منذ فترة طويلة واختار "بطرس مامولى" و " فيتو ريوياستورى " كمساعدين له ووصل ثلاثتهم إلى بنغازى فى رحلة اقتصادية ، أما الرحلة الثانية والتى كان هدفها سياسى وانطلقت بقيادة "ج. هايمان " من بنغازى وتوقفت بسلنطة ودرنة وفى طريق عودتها زارت قورينا والمرج ثم عادت أدراجها الى بنغازى [٢] ،جاء إلى ليبيا عام ١٩٠١م بعثات إيطالية مهمتها التنقيب عن المعادن والثورات منها بعثة الدكتور " هالبهبر" و البرفسور " دى سانكتمى " من معهد البحوث العلمية فى روما [٣] كما جاء الرحالة الفرنسى " ماتزويل " أيضا فى نفس العام وكتب عن الرحلة ونشرها فى المجلات العالمية ، كما نشرها فى كتاب مترجم إلى الإيطالية وذكر فيه أنه التقى بحافظ باشا الذى أمده بالخيول والرجال ولكنه اكتفى بالإذن[٤] ، وقد زار طرابلس ما بين ١٩٠١– ١٩٠٢ م الإيطالى " جوستنيا نوروسى " وألف رحلة بعنوان " تونس وطرابلس اليوم " كتب عن طرابلس وأحيائها والاختلاف فى مبانيها وضيق شوارعها وإهمال الأتراك لها وميناءها الذى ذكر أنه إذا تم تحديثه سيكون أفضل ميناء مع بنزرت ، وفى ١٩٠٥ أصدرت " مابل تود " زوجة رئيس البعثة الأمريكية لطرابلس كتاب " أسرار طرابلس " وصفت فيه مدى حبها لطرابلس بصورة تاريخية مطابقة للواقع التاريخى المعروف [٥] ، وخلال عامى

---

(١) عبد المنصف البورى : مرجع سابق – ص ٢٥٨

(٢) غوليام : مرجع سابق – ص ٢١١،٢١٣،٢١٤

(٣) عبد المنصف البورى : مرجع سابق – ص ٩٠

(٤)محمد خليفة التليسى : حكاية مدينة طرابلس لدى الرحالة – ص ٢١٩،٢٢١

(٥) نفسه – ص ٢٠٧،٢٠٢،٢٠١

١٩٠٧– ١٩٠٨م قام معهد المستعمرات الإيطالية stiuto coleniaie italiano بدعوة السناتور " دى مارتينو " وبرفقته المهندس " بالدارى " والدكتور " ألدو مـاى " بزيـارة درنـة وشـحات وبنغازى وطرابلس ، وفى عام ١٩٠٦م كانت الحكومة العثمانية قد سمحت لإيطاليا بإرسال بعثة عسكرية من عدة ضباط تحت شعار أنها بعثة علمية للبحث عن آثار ، وكانت مهمتها الحقيقية أن تضع الخرائط الحربية لجميع المناطق الهامة التى تمر بها [١] ، وكانت آخر الرحلات الاستكشافية التى قام بها الإيطاليون قبيل الاحتلال الإيطالى لليبيا هى التى قام بها " سان فيلبو سفوزا " والتى انطلقت من طرابلس فى ١٨ إبريل ١٩١١م وكان سافوزا رجل سياسة واقتصاد جاء إلى ليبيا واعتقل أعضائها ووضعوا تحت الإقامة الجبرية فى طرابلس [٢] ، وقبل بدء العمليات العسكرية فى ليبيا كان " هنريكو كورادينى " و الصحفى " جوسيبى بيازا " قاما فى ١٩١١ م بزيارة لبرقة ، كما قام أيضا " فريدريك هاليبر " فى شهر يوليو ١٩١٠م بزيارة إلى برقة امتدت حتى إبريل ١٩١١م بالرغم من توتر الأوضاع فى المنطقة فى تلك الفترة ، ووصل فرديرك إلى بنغازى عن طريق درنة وأشرف على بعثة علمية تتكون من البروفسيور " جايتانو سانكتس " وزوجته والمهندس " ألوماى " و المهندس " سان فليب" وزارت هذه البعثة دريانة وتزكرة و طليثمة والمرج وقصر بن قديم وشحات حتى وصلت إلى درنة وقد تم نشر تقارير هالبير حول ما قامت به هذه البعثة من دراسات بعد وفاته بسنوات ، وقد استمرت الرحلات إلى ليبيا حتى بعد الاحتلال الإيطالى لها فقد قامت البريطانية " روزيتا فوربس " بزيارة برقة فى ١٩٢٠م [٣] كان الأمن الذى ساد داخل الولايات العثمانية عاملا مساعدا لتلك الرحلات وكثرتها من قبل الأوروبيين فسمح لهم بالقيام بأعمالهم فى وسط الأمان ولم تكن الدولة العثمانية أخذت حذرها من تلك الرحلات إلا فى أواخر عهدها بليبيا ، فتلك الليونة و اللامبالاة من قبل الحكومة التركية سمحت بتعدد رحلات الكشوف الجغرافية الإيطالية تحت مسميات و شعارات مختلفة وبحجج ظاهرها علمى و حقيقتها أنها جاءت لتجميع أكبر قدر من المعلومات والدراسات حول الأماكن وتحصينها ومقدراتها ، وشمل اختصاصها أيضا البحث التجارى ، فكانت تلك الكشوف الجغرافية تمهيدا للغزو العسكرى ، درست الإمكانيات الدفاعية للبلاد وأيسر الطرق للإنزال العسكرى عند الغزو ، ومعرفة الموارد الطبيعية للبلاد التى يمكن استغلالها فى المستقبل.

---

(١) غوليام : مرجع سابق – ص ٢١٥

(٢) شوقى الجمل : المغرب العربى – ص ٣٧١

(٣) التليسى : ليبيا حتى ١٩١١م – ص ٢٠٨

ثانيا : التنشئة الاستعمارية . لم تكن تلك السياسة جديدة فى النهج الاستعمارى فاتبعتها إنجلترا فى مستعمراتها وكذلك فرنسا واختارت إيطاليا نفس الطريق لتسلكه فى طرابلس فحاولت قبل غزوها أن تخلق بها أتباعا يؤمنون بالولاء لإيطاليا ويتغنون بمكاسب قدومها إليهم فسعت إلى طمس القومية والمعالم الدينية ، ولجأت فى هذا إلى البعثات التبشيرية ، والمدارس الإيطالية .

١- **البعثات التبشيرية** : كان رجال الدين يرغبون فى نشر المسيحية فوضعوا أنفسهم لخدمة السياسة الاستعمارية الإيطالية ، فلقد اعتبروا أن القضاء على الإمبراطورية العثمانية هو نصرا للمسيحية باعتبارها ممثل الإسلام والمسلمين ، كما دفعهم إلى هذا أيضا هو أن نفوذهم قد قل فى إيطاليا ولم يعد لديهم الهيمنة كما كان فى السابق فتطلعوا إلى استعادة مجدهم فى المستعمرات الجديدة .كانت بعثاتهم تقوم بإدخال اليتامى من العرب ،ومن لا عائل لهم إلى الملاجئ التابعة لهم ،وجابوا القرى والمناطق النائية لنشر أغراضهم ، أنشأوا المستشفيات التابعة لهم ودور الملاجئ والتبشير فى طرابلس وبنغازى ، قدموا المساعدات للفقراء والمساكين ، كما أسسوا الجمعيات العلمية و الأدبية و الفنية [١] ، فكن لابد للمصالح الاستعمارية أن تبحث عن وسيلة للتستر ورائها لتحقيق أطماعها فما كان أمامها إلا تلك الجمعيات المتعددة الأهداف، والتى أصبحت هى المحرك لنشاطها ، قام الصحفيون الإيطاليون بجولات فى طرابلس ، وكتبوا عنها ولكن لم تكن كتابتهم تطابق الواقع فيها فكانت الكتابات مغايرة للواقع بصورة كبيرة [٢] ، واستخدمت الصحافة لتهيئة الشعب الليبى ،وملئ الأذهان أن الاحتلال هو المنقذ للبلاد من وحل الحكومة العثمانية ، وكذلك ملئ الأذهان لدى الشعب الإيطالى بمدى المكاسب والخيرات التى ستعم عليهم إذا ما احتلت إيطاليا ليبيا ، هكذا استخدمت إيطاليا كل السبل للوصول إلى أهدافها ، كما اهتمت بالبحث عن عملاء تربطهم بها عن طريق منحهم الجنسية الإيطالية ،ووضعهم تحت الحماية الإيطالية ليستفيدوا من الامتيازات التى كان يتمتع بها الأجانب [٣] ، وكان القناصل يرون من هؤلاء وسيلة لتثبيت نفوذ الدولة ، فاستخدمت الجمعيات للتبشير والتنصير وتحكيم اللغة الإيطالية فى الولاية من خلال التعليم والمنح حتى إذا ما جاء الاستعمار يسهل التعامل مع الوطنيين ، وكانت القناصل الإيطالية فى طرابلس وبنغازى مركزا للتجسس والدعاية الإيطالية والنشاط السياسى ، وكان القناصل يمدون الحكومة الإيطالية

---

(١) الطاهر عمر : تاريخ الجزائر – ص ٥٦

(٢) البورى : مرجع سابق – ص ٢٥٩

(٣) محمود منسى : مرجع سابق– ص ٢٤

بأوضاع الولاية فى تقارير مفصلة [١] ويقومون بتوسيع الخلاف بين حكومة الولاية والمواطنين ، واستغلال الخصومات والخلافات السياسية وتذمر الزعماء المحليين من السلطات التركية وذلك كله لتهيئة الأذهان لفكرة الغزو. [٢]

٢- **المدارس** : نشر الإيطاليون دعوتهم فى برقة وطرابلس عن طريق العلم فبنوا المدارس فى برقة وطرابلس وفتحت الباب للتلاميذ للتعليم بالمجان ، وعارض الوالى أحمد راسم باشا إنشاء تلك المدارس [٣] التى كانت جسرا لتوطيد الصلة بين الرعايا الإيطاليين والدولة الأم ، وهدفها الرئيسي غرس الثقافة واللغة الإيطالية لدى السكان العرب في ليبيا وتعميق الدور الحضاري الإيطالي ، وفي نفس الوقت كانت تسعى لتشويه الخصائص القومية وطمس أية معالم للحضارة الإسلامية فقد أدخلوا أبناء الليبيين إلى تلك المدارس ليشبوا على الثقافة والدين المسيحي لأن مثل هذه المدارس تقوم بتقديم نوعية معينة من الثقافة والتعليم لتتصرف في أذهان النشأ ، وكانت تدار مناقشات كثيرة بين حكومة الولاية العثمانية وساسة إسطنبول بسبب إنشاء هذه المدارس حيث أنها منافسة للتعليم العثماني بل للوجود العثماني ذاته وخاصة أن المدارس الإيطالية كانت تتمتع بإمكانيات ضخمة ومتنوعة مما يجعل دور الإمكانيات العثمانية يتضاءل [٤]، لم يكن إنشاء المدارس الإيطالية في ليبيا وليد اللحظة ولكن خططت له إيطاليا قبل قدومها لغزو ليبيا بسنوات، لم يقتصر على الذكور فقط فالتحق الإناث بالتعليم ، وجعل بالمجان في الوقت الذي كانت بعض المدارس تطرد التلاميذ لعدم قدرتهم على دفع المصروفات أو قلة الأماكن في حين كانت المدارس الإيطالية تتلقاهم بالترحيب ، أنشأت مدرسة عليا اسمها مدرسة العلوم والتجارة [٥] .تعلم بتلك المدارس الفقراء واليهود الذين استقطبوا إلى المدارس الإيطالية ووجدت بهم الاستعدادات الكاملة للتعاون مع الإيطاليين ، فلقد كانت الحكومة الإيطالية حريصة على استخدام خريجي هذه المدارس كي يعملوا في الوظائف البسيطة لتيسير أعمال الإدارة الإيطالية في ليبيا ولذلك تولت إيطاليا أعداد مناهج خاصة اهتمت بنشر نوع من الثقافة الإيطالية في ليبيا يتلاءم مع أهدافها الاستعمارية ، ويخدم مصالحها [٦] ، وخرج من تلك المدارس موظفون يجيدون الإيطالية ويتعاملون بها في البيع والشراء وقد كان عدد

---

(١) رأفت الشيخ : تاريخ العرب المعاصر – ص ١١٥

(٢) محمود منسي : مرجع سابق – ص ٣٤

(٣) شوقي الجمل : المغرب العربي – ص ٣٦٥

(٤) البوري : مرجع سابق- ص٢٦٢ ، ٢٦٥

(٥) محمود منسي : مرجع سابق – ص ٣٤

(٦) أسامة بركات : اليهود فى ليبيا ودوروهم ١٩١١-١٩٥١م- ص ٥٥

المتكلمين باللغة الإيطالية في طرابلس قبل الاحتلال حوالي ٣٠٪ من سكانها بينما لم يزد عدد المتكلمين باللغة التركية عن ٥٪ [١] ، كما أن الأدوات الثقافية أهم وأفضل الأدوات التي تستخدم لدعم أي نفوذ أجنبي للبلاد خاصةً وأنها تحول الشعوب الرافضة للاستعمار أكثر قابلية للوجود الاستعماري بعد أن تتشرب لغتها وثقافاتها ومن هذا فتلك الأدوات الثقافية تتكامل مع باقي الأدوات لتمكين السيطرة الاستعمارية سواءً كانت جمعيات تبشيرية أو غيره.

(١) شوقي الجمل : مرجع سابق – ص ٧٢

المبحث الثانى : الأنشطة الاقتصادية (بنك دى روما)

اتبع الإيطاليون نظام التغلغل التدريجى خلال سنوات الحكم العثمانى الأخيرة ، وخاصة خلال ولاية (رجب باشا) عن طريق إنشاء بعض المؤسسات التجارية والثقافية ، فى محاولة لاستمالة السكان ، وذريعة لإرسال عدد كبير من الإيطاليين للتجارة وإنشاء المصانع و المعامل ، إلى جانب إنشاء المصانع و المعامل التى هى أشبه بالحصون ومخازن الذخيرة ، فحصلوا على موافقة الحكومة العثمانية فى إنشاء مكتب بريد فى بنغازى يرسلون عن طريقه ما يردون من رسائل وتقارير دون رقابة [١] فى سنة ١٩٠٠م أقامت شركة روباتينو ROBATINO للملاحة خطا بحريا منتظما مع مدينة طرابلس وقامت إيطاليا بتطوير خطوط الملاحة والمدارس بعد إنشاء بنك دى روما ، كما كانت الحكومة الإيطالية تشجع أبنائها على إقامة مشاريع فى ليبيا ، وحاولت شراء بعض الأراضى ذات الموقع الاستراتيجى الهام فى ليبيا وذلك عن طريق القنصلية الإيطالية بالتعاون مع شركة " وابورات إيطاليا "[٢] .

– **بنك دى روما :** حاولت إيطاليا وضع ليبيا تحت سيطرتها الاقتصادية وذلك عن طريق فتح بنك ليكون عونا للشركات الإيطالية ، وبالفعل تم افتتاح بنك دى روما فى طرابلس عام ١٩٠٥ م ، وقد وقع اختيار إيطاليا لهذا البنك بالذات لأنه مرتبطا بالحكومة من ناحية ومن ناحية أخرى بالأوساط الكاثولوكية ذات النفوذ الدينى، وقد بادرالبنك بهذه المهمة عندماأعلنت إيطاليا رغبتها فى السيطرة الاقتصادية على ليبيا [٣] ، أنشأ هذا البنك بدون إصدار مرسوما من الحكومة العثمانية فى الأستانة أو موافقة الحكومة فى ليبيا وأسندت إدارته إلى "براشيانى " أحد الساسة الإيطاليين الدهاة والذى كان يتجول فى ليبيا ليكسب الناس بروح الدعابة ويطلع على أحوال البلاد [٤] ، وفى مارس ١٩١٠م افتتح فرع للبنك فى بنغازى وأقيمت الاحتفالات حضرها المتصرف وعدد من الموظفين الأتراك إلى جانب موظفى بنك دى روما ، وألقيت خطبة بالتركية والإيطالية تتضمن امتنان الجالية الإيطالية للحكومة التركية، وتأكيد الود الذى تتسم به العلاقات التركية الإيطالية [٥] هذا على خلاف المتصرف العثمانى فى ليبيا عند إنشاء فرع البنك فى طرابلس ١٩٠٥م ، فعارض رجب باشا بشدة تأسيس هذا البنك ، ولولا نجاح نفوذ إيطاليا فى الاستانة

---

(٢) شارل فيرو : الحوليات الليبية منذ الفتح العربى إلى الغزو الإيطالى –ترجمة محمد الكريم الوافى –ط٣ –قاريونس–١٩٩٤– ص ٥٣١

(٣) محمود منسى : مرجع سابق – ٢٤

(١) عبد المنصف البورى : مرجع سابق – ص ٢٦٨

(٢) شوقى الجمل : مرجع سابق –ص ٣٧١

(٣) محمود منسي : مرجع سابق – ص ٣٥

وطلب الحكومة منه عدم التشدد خوفا من إثارة القلاقل السياسة ، كما تمكن الإيطاليون من التأثير على حقى بك السفير العثمانى فى روما ليتوسط لدى الحكومة العثمانية من أجل التساهل مع بنك دى روما ، ولكن رجب باشا عارض هذا الاتجاه، وامتنع عن بيع الأراضى للبنك وشجع الأهالى على شراء الأراضى بعضهم من بعض وحاول قدر المستطاع أن تشترى الولاية الأراضى من الأهالى بحيث لم يبق للبنك إلا أملاك الأجانب ، ومن أجل الحيلولة دون تسرب أراضى المواطنين إلى الإيطاليين ،كما اقترح رجب باشا إقراض الأهالى من البنك الزراعى العثمانى الذى افتتح فرعا له فى طرابلس [١]

– **أعمـــــال البنـــــك** : تعـــدت أعمـــال البنـــك وابتعـــدت عـــن المهـــام الأصـــلية للبنـــوك فعلى المستوى الصناعي : في ديسمبر ١٩٠٧م تأسست منشأة الزيوت الإيطالية في طرابلس ثم الخمس ومسلاته ، وزلطين ، وفي مارس ١٩١٠ م افتتح مصنعاً لعصر الزيوت لأحد الإيطاليين ممولا من البنك ، وفي نفس العام افتتح مطحنا في طرابلس للغلال بمساهمة البنك وأقيم مصنعا للثلج ، ومطبعه ، وعدد من المشروعات الصغيرة من أهداف البنك أيضا البحث عن المعادن في ليبيا والعمل على استغلالها كالفوسفات والكبريت [٢] ، أنشأ البنك بناء في شارع هانئ بطرابلس وهو الذي صار الكلية الفنية بطرابلس بعد ذلك وكان بداخله طاحونة ميكانيكية لطحن الدقيق ، كما كانت تبيع لهم الدقيق المستورد من إيطاليا بأثمان رخيصة [٣] وعلى المستوى التجاري : فبعد أنشاء البنك وتآمر بعض الولاة أمثال حقي باشا الذي كان سفيرا في روما وقتها وطلبت منه إيطاليا أن يتوسط لدى الباب العالي من أجل التساهل مع البنك والسماح بشراء أراضي في طرابلس وطلبت حكومة الأستانة من رجب باشا أن يقبل بيع أراضي الفراغ باسم المدير لبنك روما [٣] قامت الحكومة الإيطالية بحصر الأراضي الزراعية بعد الغزو مباشرةً و الاستيلاء عليها وطرد السكان منها ، كما استفاد البنك من تمويل الحكومة لها وقام بعمل خطوط ملاحية بين موانى طرابلس وبنغازي وطبرق وربطها بموانى مالطة و جنوة و بالرمو وإسطنبول ، كما أن البنك منح القروض التجارية لصغار التجار مقابل الرهن بفوائد كبيره [٤] ، كما أن البنك سعى لإنشاء بعض المرافق الهامة واحتج الأهالي على ذلك وقدموا طلبا للوالي بمخاوفهم تجاه أعمال إيطاليا في الولاية ، وطالبوا بتأسيس شركات أهلية برأس مال محلي لتنفيذ المشاريع الهامة ، وكانت بين عامي ١٩٠٧ ،

---

(٤) محمود منسى الحملة الإيطالية على ليبيا : ص٦

(٥) عبد المنصف البوري : ص ٢٧١

(١) راسم رشدي : طرابلس الغرب بين الماضي والحاضر – ص ٩٩ ، ١٠٠

(٢) البوري : مرجع سابق – ص ٢٧٢

١٩٠٨ م نسبة الشراء و الودائع في بنك روما ضعيف وقد استمر في الارتفاع حتى عام ١٩١٣ م [١] ، أما في القطاع الزراعي قام البنك بشراء الآلاف الهيكتارات من الأراضي الزراعية في بنغازي وتوزيع ١٥ الف رأس من الماشية على بعض القبائل لكي تتولى هذه القبائل زراعة الأراضي وتربية المواشي وللبنك نصف المحصول [٢] ، فكانت استراتيجية البنك في التوغل السلمي زراعيا من خلال اختراق الاستثمار في الزراعة المحلية ولكن السنوسية وتوغلها في الداخل كانت تقف في وقف هذه الاستراتيجية ، كان للنجاح الذي حققه البنك صداه في الصحافة الإيطالية إذ نشرت مجلة " البعث " الإيطالية في تلك الفترة عن تعدد أنشطة البنك وأشادت به فقالت (إن صناعاته عديدة ، ومغازله ، ومحاجر مواد البناء التابعة له ، وبأكثر أهمية تجارة الحلفاء والحبوب والإسفنج وريش النعام والعجوة الصوف والمطحن الكهربي ، ومكاينة صناعة عصر الزيتون ، أنها أعمال عظيمة لبنك يحمل اسم إيطاليا) [٣]

مقاومة الأهالى للتوغل السلمى : ابتدأت تلك المقاومة فى الخمس عندما أخذ متصرفها العثمانى الدكتور رشيد توجيه الناس إلى حقيقة نوايا الطليان ، ويحذرهم من نشاط ذلك البنك وأنه يريد أن يوقع الأهالى فى الديون حتى يتخذها الإيطاليون ذريعة لادعاء المحافظة على مصالحهم المالية فى البلاد [٤] ، وعندما وصلت بعثة سفورازا إلى الخمس للبحث عن الفوسفات ودراسة الآثار القديمة اشتدت حركة المقاومة بزعامة بشير السعداوى كبير كتاب مجلس الإدارة ، ودعى المتصرف الزعماء لمؤتمر واتخذوا قرارات منها:

– منع كل معاملة مع بنك روما

– منع بيع الأراضى لذلك البنك أو الاقتراض منه

– طلب المؤتمر أن يأتى بريد الأستانة على ظهر سفينة عثمانية بدلا من الإيطالية التى تحضره عادة . وقدم الأهالى هذه القرارات إلى إبراهيم باشا والى طرابلس ، وأرسلوها إلى بعض الصحف الأوروبية مثل "الطان" الفرنسية ، و"التايمز" الإنجليزية ، وطالب بشير السعداوى فى هذا المؤتمر بتجنيد الطرابلسيين بكل سرعة وإبقاء الأسلحة مع الأهالى [٥] ، وكان من الحضور فى هذا المؤتمر بشير السعداوى والشيخ

---

(3) Ros first : Libya the elusive revolution–1974 – p . 95

(٤) البوري : مرجع سابق – ص ٢٧٢

(٥) عبد المنصف البوري :الغزو الإيطالى على ليبيا دراسة فى العلاقات الدولية – ص ٢٧٢

(٦)محمد فؤاد شكرى :السنوسية دين ودولة – ص ١٢١

(١)محمود منسى : الحملة الإيطالة على ليبيا – ص ٣٧،٣٨

عبد الرحمن الزلقعى ، ومندوبين حل القضايا فى مصراته وسرت وزليتين ومسلاته وغيرها [١] ، أما عن الولاة العثمانيين فلم يجد البنك أى مناهضة منهم إلا فى عهد رجب باشا (١٩٠٤- ١٩١٠) م ، و باقى الولاة تميزوا بالضعف ، وعدم القدرة على مناهضة النشاط الاستعمارى ، بل إن البنك كان له تأثير عليهم واستغل العلاقة معهم فى تقوية مركزهم والتدخل فى شؤن الولاية ، وعندما وقف رجب باشا فى وجه سياسة البنك استنجد البنك بالحكومة الإيطالية التى بلغت استنكارها عن أعمال رجب باشا فى خطاب إلى السفير العثمانى فى روما والذى أرسل خطاب إلى الحكومة العثمانية قائلا: ((إن إيطاليا تبذل جهدا كبيرا لمساعدة الحكومة العثمانية ومن الواجب على الباب العالى أن يتسامح مع بنك روما تدعيما لأواصر المودة بين الدولتين ، وإحكاما لعلاقات الصداقة))[٢] ، استجابت الحكومة العثمانية لطلب سفيرها ، وسعت إيطاليا لعزل رجب باشا ، وكذلك إبراهيم باشا الذى سار على نفس نهجه رافضا تغلغل الإيطاليين فى الداخل الليبى وعزل ولم تقم الحكومة بتعين خلفا له ، واحتج نواب طرابلس فى الأستانة على هذا الوضع فعين بكر سامى واليا على ليبيا فى سبتمبر ١٩١١م ، ولكن الحكومة الإيطالية حالت دون وصوله إلى ليبيا ، انزعج الأهالى من تلك التدخلات الإيطالية فى الشأن الليبي التى لم يعد لها حدود فأرسل الأهالى خطابا إلى الأستانة يعلنون عزمهم على الدفاع عن بلادهم إلى أخر قطرة من دمائهم حتى ولو تقاعست الحكومة ، كما طالبوا بتحصين البلاد والوقوف فى وجه المخططات الاستعمارية ، وكان الليبيون قد عزموا على إعلان الحرب الاقتصادية على الإيطاليين بمقاطعة تجارتهم ، وكان رد الصدر الأعظم على هذه البرقية بأن الحكومة العثمانية ستدافع عن طرابلس ما استطاعت الدفاع عنها ، وأن الوالى بكر سامى سيسافر إليها عن قريب ، وأشار الأهالى فى برقيتهم إلى تخوفهم من امتيازات إنشاء ميناء طرابلس وتمديد السكك الحديدية فى الداخل الذى منحته الحكومة العثمانية لشركة إيطالية ، ظهر زعماء الحركة الطرابلسية لمواجهة تلك التدخلات الإيطالية السافرة فى الولاية ومنهم سليمان الباروني الذى عانى كثيرا بسبب آرائه السياسية فلقد سجن ونفى فى عهد السلطان عبد الحميد ، وكذلك فى عهد الاتحاديين ، ولحب الأهالى له فاز فى انتخابات مجلس المبعوثان وبقى فيه ثلاث سنوات قبيل الغزو الإيطالى وقاوم النفوذ الإيطالى كثيرا [٣]،وقد كان للصحافة التركية دورها فى التنبيه عن ذاك التغلغل الإيطالى فى ولاية طرابلس وبرقة العثمانية فلقد نبهت الجرائد المحلية التركية مرارا

---

(٢)محمد فؤاد شكرى : مرجع سابق – ص ١٢١

(٣) حافظ البورى : مرجع سابق – ص ٢٦٩،٢٧٠

(١) محمود منسى : مرجع سابق – ص ٣٨،٣٥

على ذلك مثال" تعميم جربت" و " الترقى " و " المرصاد " و "أبو قشة " إلى أن وصل تدخل الحكومة الإيطالية فى ليبيا إلى عزل الولاة الذين حاولوا الوقوف فى وجه تلك الأطماع ويظهر هذا فى طلب إبراهيم باشا قبيل الاحتلال قبل عزله بتزويد الولاية بالسلاح [1] ، رأت بعض الدول أن الأدوات الاقتصادية كافية لتوجيه السياسات في البلاد بما يخدم أهدافها ، فتصبح بمثابة بُلدان تابعة لها و تلك هي السياسة التى اتبعتها إيطاليا فى ليبيا بعد أن وجدت طريقها فيها، واقتنع ساستها بها على الأقل فى فترة كانوا يدركون صعوبة استخدام الأدوات العسكرية فى ليبيا آنذاك ، فرأت أن تسيطر اقتصادياً أولاً فتخلق الحِجج و الذرائع ، فمِن ثم امتلاك ومنها عرف مصطلح التوغل السلمي الذى كان له مظاهر شتى سياسية واقتصادية واجتماعية ، و قد اهتمت القنصلية الإيطالية فى ليبيا بالبحث عن عملاء تربطهم بها و بالدولة الإيطالية عن طريق منحهم الجنسية الإيطالية ووضعهم تحت الحماية الإيطالية ليستفيدوا من الامتيازات التى تتمتع بها الأجانب ، فكانوا خير وسيلة لتثبيت النفوذ الإيطالي و حققت الرحلات الاستكشافية و المشاريع الاقتصادية الغاية الإيطالية التى ناشدتها الحكومة الإيطالية فى توُغلها السلمي و تمهيدها للغزو العسكرى على ليبيا فى ١٩١١ م رغم مُناهضة الأهالى لتلك التدخلات ولكِن بلا جدوى مناهضتهم تلك فى ظل تكهل حكومة عثمانية تلتقط أنفاسها الأخيرة أمام مارد الاستعمار الأوروبى فى ممتلكاتها .

---

(٢) شوقى الجمل : مرجع سابق – ص ٣٧٣